مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

المورد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق

المجلد العشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

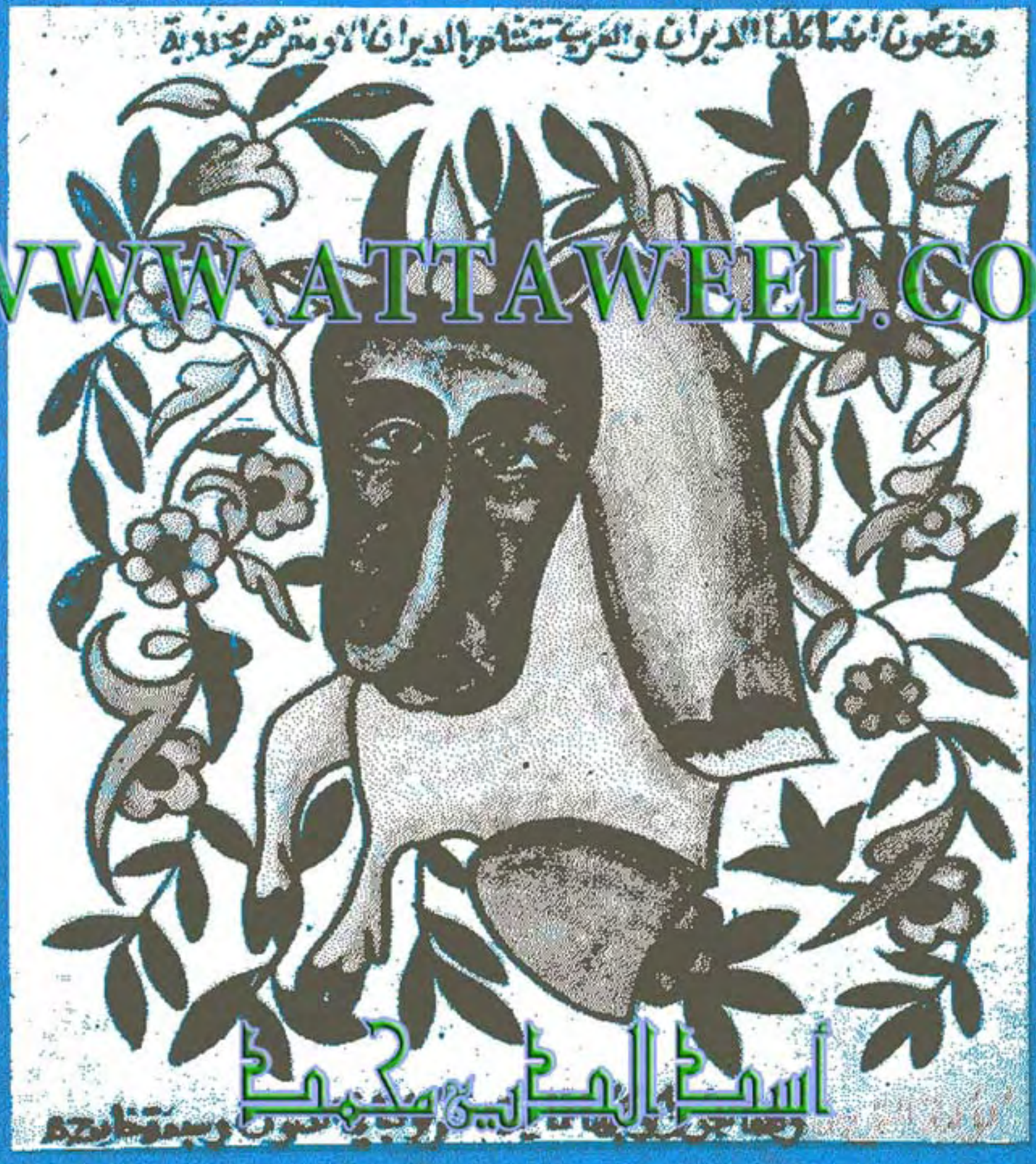

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين شيركوه

الاحلام وتفسيرها في التراث العربي

الأحلام والرؤى عند الأقدمين

نصوص مختارة

اخراج وتوثيق

عزيز جاسم الجبية

بغداد ـ المنصور

تمهـــيد

تجاوباً مع مشيئة « المورد » التي تاقت الى امتاع القراء بعدد خاص يوافق الأحلام العربية في ضوابطها وتاويلها ـ رأيت أن اختار طائفة من النصوص المفيدة وفق سياقها الزمني لتكون عوناً لمن يشاء البحث والدرس في مضمار الاحلام المترددة بين السعادة والشقاء أو بين البشارة والانذار .. وبعد جولة واعية خلال ما تركه لنا القدامى من علمائنا رحمهم الله استقر عزمي على أن ابدأ بابن سيرين البصري (المتوفى سنة ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م) وانتهى بمحمد علي التهانوي (المتوفى سنة ١١٥٨ هـ/ ١٧٤٥ م) ليتمطى بينهما أحد عشر عالماً مشهوراً في الحقل الموسوعي ، ومن النافع أن أجود بدفقات من الضوء .. تجلو بعض الملامح التي انفرد بها أصحاب هذه النصوص المختارة ، وهم ـ بموجب سنوات وفياتهم ـ نخبة من السلف الصالح مجموعة على :

ابي بكر محمد بن سيرين البصري الانصاري التابعي المتوفى في البصرة سنة ١١٠ هـ/ ٧٢٩ هـ .. وكان بزازاً أطروش ، وعرفناه كاتباً شريفاً ورعاً وفقيهاً ومحدثاً .. وهو الذي استكتبه انس بن مالك بفارس .. وتشير أخلاقه الى انه قد جعل على نفسه كلما اغتاب أحداً أن يتصدق بدينار ، وكان اذا مدح أحداً قال : هو كما يشاء الله ، واذا ذمه قال : هو كما يعلم الله . وذكر المؤرخون ان أباه من سبي عين التمر .

أما النص الذي اخترته من إرثه فقد انتزعته من كتابه (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) المطبوع في أسفل كتاب (تعطير الانام) للشيخ عبدالغني النابلسي (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهـــرة ، ١٩٤٠) ١ / ٢ ـ ٣١ .

٢ - ابي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (المتوفى نحو ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠ م) وكان من نوابغ الفكر ببغداد في القرن الرابع الهجري ـ وقد اشتهر في المظان الادبية بفيلسوف الادباء واديب الفلاسفة ، وحاول أن يوفق بين التصوف والاعتزال . صحب ابن العميد والصاحب بن عباد ، فاساءا مثواه ، فذمهما . ولما تجهمت له الدنيا ظنّ بمؤلفاته على من لم يعرف قدرها ، فجمعها وأحرقها . وقد اشتهر بكتابه (الامتاع والمؤانسة) .

أما النصوص التي اخترتها من موروثه ، هما الثانية والثلاثين ، والثانية بعد المئة ومقابستان انتزعتهما من كتابه (المقابسات) تحقيق محمد توفيق حسين ، مطبعة الارشـــــاد ـ بغـــداد ١٩٧٠ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ و ٤٣٢ ـ ٤٣٥ ، ونص مشترك بينه وبين الفيلسوف مسكويه انتزعته من كتابه (الهوامل والشوامل) تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر ، مطبعة لجنة التاليف

والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥١ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٩ .

٣ ـ ابي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) وهو باحث مؤرخ فيلسوف كان قيماً على مكتبة ابن العميد ، ولذلك لقب بالخازن . وهو مؤلف كتاب (تجارب الامم وتعاقب الهمم) . وقد وصفه أبو حيان التوحيدي بانه حائل العقل لشغفه بالكيمياء .

وفي ما يتعلق بنصه المختار .. ذكرته في الفقرة (٢) عند كلامي على ابي حيان التوحيدي .

٤ ـ ابن العربي ، محيي الدين ، محمد بن علي الحاتمي الطائي الاندلسي (المتوفى ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) كان يلقب بالشيخ الاكبر ، وهو فيلسوف موسوعي من ائمة المتكلمين ، قام بعدة رحلات استغرقت الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ، وأنكر عليه المصريون شطحات صدرت منه ، وكان قدوة القائلين بوحدة الوجود . له نحو (٤٠٠) كتاب ، أشهرها (الفتوحات المكية) و (محاضرة الابرار) .

واخترت ما قاله في الحلم والرؤية من كتاب (فصوص الحكم) ـ تحقيق الدكتور ابي العلا عفيفي ، دار احياء الكتب العربية ١٩٤٦ ، ١ / ٨٥ ـ ٨٧ و ١٠٠ ـ ١٠١ .

٥ ـ التيفاشي ، شرف الدين ، ابي العباس ، أحمد بن يوسف القيسي (المتوفى ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م) مال الى علوم الاوائل ، وتاثر بابيه بعد أن درس عليه . هاجر الى مصر ، ثم غادرها الى دمشق لينتفع بثقافة تاج الدين الكندي .. وظل بعد ذلك متجولاً بين آمد وحلب والموصل وحران وجزيرة ابن عمر .. وغيرها من البقاع ، ثم اصيب ـ في اواخر عمره ـ بالصمم ، فاصبح هدفاً للشك بما يقال ولسوء الظن بما ينتهي اليه . وقد ترك للأجيال مؤلفات نافعة أشهرها : أزهار الأفكار في جواهر الاحجار ، وسجع الهديل في اخبار الذيل .

وقد اخترت ما كتبه عن تاويل الاجرام العلوية وما يتعلق بها في المنام على مذهب حكماء الفلاسفة والاسلام ، وعن تعبير ما تشتمل عليه من الاثار العلوية وغيرها في المنام .. من كتابه : سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (تهذيب ابن منظور ، وتحقيق الدكتور احسان عباس) ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٢١١ ـ ٢١٤ ، ٤٠٣ ـ ٤٠٦ .

٦ ـ صلاح الدين الصفدي ، خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي (المتوفى ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) أديب فلسطيني ذو ثقافة موسوعية ، أدار ديوان الانشاء في صفد ومصر وحلب وأشرف على وكالة بيت المال في دمشق . ترك لنا نحو (٢٠٠) كتاب ، أشهرها : الوافي بالوفيات . وما كتبه عن الاحلام وعن رؤية النبي (ﷺ) في النوم وفيما يأمر به منامات ، وعن كيفية القوة المخيلة في النوم وحديث الرؤيا الصالحة قد انتزعته من كتابه : الغيث المسجم في شرح لامية العجم (دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٩٧٥) الجزء الاول ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٨ .

٧ ـ ابن خلدون ، ابي زيد ، ولي الدين ، عبدالرحمن بن محمد (المتوفى ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) مؤرخ ، باحث ، ذو جهود ملحوظة في علم الاجتماع . ولد في تونس ، وتولى أعمالاً مختلفة ، رحل الى فاس وغرناطة وتلمسان ، وضويق بوشايات كاذبة . واستقر بمصر حيث أكرمه السلطان الظاهر برقوق وتولى فيها قضاء المذهب المالكي . اشتهر بكتابه : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر . وما قاله في علم تعبير الرؤيا قد انتزعته من كتابه المعروف بمقدمة ابن خلدون (طبعة مكتبة المثنى المصورة ـ دت) ص ٤٧٥ ـ ٤٧٨ .

٨ ـ ابن شاهين ، غرس الدين ، خليل بن شاهين الظاهري (المتوفى ٨٧٣ هـ ـ ١٤٦٨ م) أمير مملوكي ، وباحث ذاع صيته في مصر . ولد في القدس وتعلم في القاهرة ، وولي نظر الاسكندرية ونيابتها . كان مولعاً بالبحث ، محمود السيرة .. أصبح وزيراً ثم استعفي بعد مدة يسيرة . كما تولى نيابة الكرك وملطية ، وأتابكية حلب . ولم يسلم من اعتقال وسجن . له نحو (٣٠) كتاباً ، منها : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

وما كتبه عن الرؤيا اقتبسته من كتابه : الاشارات في علم العبارات (في هامش : تعطير الانام في تعبير المنام ـ للشيخ عبدالغني النابلسي) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٥ ـ ٩ .

٩ ـ التهانوي ، محمد أعلى بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي (المتوفى بعد ١١٨٥ هـ / ١٧٤٥ م) باحث هندي ، وحسنة من حسنات الاسلام الهندي . اشتهر بعد أن أوشكت امبراطورية المغول على الاضمحلال . له كتاب : سبق الغايات في نسق الآيات .

وقد اقتبست كلامه عن الاحلام من كتابه : كشاف اصطلاحات الفنون (تحقيق الدكتور لطفي عبدالبديع) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ ، الجزء الثالث ، ص ٨٩ ـ ٩٩ .

النصوص المختارة
مرتبة وفق سياقها الزمني

(١)
محمد بن سيرين

اعلم وفقك الله ان مما يحتاج اليه المبتدىء أن يعلم ان جميع ما يرى في المنام على قسمين : فقسم من الله تعالى وقسم من الشيطان لقول الرسول (ﷺ) « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان » والمضاف الى الله تعالى من ذلك هو الصالح وان كان جميعه ، أي الصادقة ، وغيرها خلقاً لله تعالى ، وان الصالح من ذلك هو الصادق الذي جاء بالبشارة والنذارة ، وهو الذي قدّره النبي (ﷺ) جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، وان كان الكافرون وفساق المؤمنين قد يرون الرؤيا الصادقة ، وان المكروه من المنامات هو الذي يضاف الى الشيطان الذى أمر النبي (ﷺ) بكتمانه والتفل عن يساره ووعد فاعل ذلك انها لا تضرّه ، وان ذلك المكروه ما كان ترويعاً أو تحزيناً باطلاً أو حلماً يؤدي الى الفتنة والخديعة والغيرة دون التحذير من الذنوب والتنبيه على الغفلات والزجر عن الاعمال المهلكات ، إذ لا يليق ذلك بالشيطان الآمر بالفحشاء ، وانما إضافة أباطيل الاحلام الى الشيطان على انه هو الداعي اليها ، وان الله سبحانه هو الخالق لجميع ما يرى في المنام من خير أو شر ، وان اختلاف الموجب للفسل مضاف الى الشيطان وكذلك ما تراءى من حديث النفس وآمالها وتخاويفها وأحزانها مما لا حكمة فيه تدلّ على ما يئول أمر رائيه اليه ، وكذلك ما يغشى قلب النائم الممتلىء من الطعام أو الخالي منه كالذي يصيبه عن ذلك في اليقظة إذ لا دلالة منه ولا فائدة فيه وليس للطعم فيه صنع ولا للطعام فيه حكم ولا للشيطان فيه حكم مع ما يضاف اليه منه خلق وانما ذلك خلق الله سبحانه قد أجرى العادة أن يخلق الرؤيا الصادقة عند حضور الملك الموكل بها فتضاف بذلك اليه وان الله تعالى يخلق اباطيل الاحلام عند حضور الشيطان فتضاف بذلك اليه وان الكاذب في منامه مفتر على الله عز وجل وان الراني لا ينبغي له أن يقص رؤياه إلا على عالم أو ناصح أو ذي رأي من أهله كما روي في بعض الخبر وان العابر يستحب له عند سماع الرؤيا من رائيها وعند إمساكه عن تاويلها لكراهتها ولقصور معرفته من معرفتها ، إذ يقول خير لك وشر لاعدائك خير تتوقاه وشر تتوقاه ، هذا اذا ظنّ ان الرؤيا تخص الراني وان ظن ان الرؤيا للعالم قال خير لنا وشر لعدونا خير نتوقاه وشر نتوقاه والخير لنا والشر لعدونا وان عبارة الرؤيا بالغدوات أحسن لحضور فهم عابرها وتذكار رائيها لان الفهم أوجد ما يكون عند الغدوات من قبل افتراقه في همومه ومطالبه مع قول النبي (ﷺ) « اللهم بارك لامتي في بكورها » وان العبارة قياس واعتبار وتشبيه وظنّ لا يعتبر بها ولا يختلف على عينها إلا أن يظهر في اليقظة صدقها أو يرى برهانها وان التاويل بالمعنى أو باشتقاق الاسماء وان العابر لا ينبغي له أن يستعين على عبارته بزاجر في اليقظة يزجره ولا يعوّل عند ذلك بسمعه ولا بحساب من حساب المنجمين يحسبه ، وان النبي (ﷺ) لا يتمثل به في المنام شيطان وان من رآه فقد رآه حقاً وان الميت في دار حق فما قاله في المنام فحق ما سلم من الفتنة والغرة وكذلك الطفل الذي لا يعرف الكذب وكذلك الدواب وسائر الحيوان الاعجم اذا تكلم فقوله حق وكلام ما لا يتكلم آية واعجوبة وكل كذاب في اليقظة كالمنجم والكاهن فكذلك قوله في المنام كذب وان الجنب والسكران ومن غفل من الجواري والغلمان قد تصدق رؤياهم في بعض الاحيان وان تسلط الشيطان عليهم بالاحلام في سائر الزمان وان الكذاب في أحاديث اليقظة قد يكذب عامة رؤياه وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً وان العابر لا يضع يده من الرؤيا إلا على من تعلقت أمثاله ببشارة أو نذارة أو تنبيه أو منفعة في الدنيا والاخرة ويطرح ما سوى ذلك لئلا يكون ضغثاً أو حشواً مضافاً الى الشيطان وان العابر يحتاج الى اعتبار القرآن وأمثاله ومعانيه واضحة كقوله تعالى في الحبل ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ ، وقوله في صفات النساء ﴿ بيض مكنون ﴾ ، وقوله في المنافقين ﴿ كانهم خشب مسندة ﴾ ، وقوله ﴿ ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾ ، وقوله ﴿ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ ، وقوله ﴿ أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتاً ﴾ ، وانه ايضاً يحتاج الى معرفة أمثال الانبياء والحكماء وانه يحتاج أيضاً الى اعتبار اخبار رسول الله ﷺ وأمثاله في التاويل كقوله « خمس فواسق وذكر الغراب والحدأة والعقرب والفارة والكلب العقور » ، وقوله في النساء « إياك والقوارير » ، وقوله « المرأة خلقت من ضلع » ويحتاج العابر أيضاً الى الامثال المبتذلة كقول ابراهيم عليه السلام لاسماعيل غير اسكفة الباب ، أي طلق زوجتك . وقول المسيح عليه السلام وقد دخل على مومسة يعظها انما يدخل الطبيب على المريض يعني بالطبيب العالم وبالمريض المذنب الجاهل . وقول لقمان لابنه بدل فراشك يعني زوجتك . وقول ابي هريرة حين سمع قائلاً يقول خرج

الدجال ، فقال كذبة كذبها الصباغون ، يعني الكذابين ، وانه محتاج مع الزجر والشعر الى اعتبار معانيه ليقوى بذلك على معاني أمثال المنام كقول الشاعر :

وداع دعـــانـي للنـــدى وزجـــاجـة تحســـيتها لـــم يعـــن مـــاء ولا خمـــرا

يعني بالداعي دعوة الغناء وبالزجاجة فم المرأة كقول الآخر :

ليـــس للنـــرجـــس عـهـــد انمـــا الـعـهـــد لـــلاس

وكقول الآخر :

أنـــت ورد وبقـــاء الـ ورد شـــهـــور لشـــهـــور

وهـــواي الاس والآ س عـــلى الدهـــر صـــبور

فينسبه بذلك الى قلة بقاء الورد والنرجس ودوام الآس وبقائه ويتأول ذلك بذل كفي الرؤيا اذا جاء فيها وانه يحتاج الى اشتقاق اللغة ومعاني الاسماء كالكفر أصله التغطية والمغفرة أصلها الستر والظلم ووضع الشيء في غير موضعه والفسق الخروج والبروز ونحو ذلك وانه محتاج الى اصلاح حاله وطعامه وشرابه واخلاصه في اعماله ليرث بذلك حسن التوسم في الناس عند التعبير . وان الرؤيا الصادقة قسمان : قسم مفسر ظاهر لا يحتاج الى تعبير ولا تفسير وقسم مكنى مضمر تودع فيه الحكمة والانباء في جواهر مرئياته وما كان له طبع في الصيف وطبع في الشتاء عبّر عنه في كل حين يرى فيه بطبع وقته وجوهره وعادته في ذلك الوقت كالشجر والتمر والبحر والنار والملابس والمساكن والحيات والعقارب . وما كان له طبع بالليل وطبع بالنهار عبّر عنه في رؤيا الليل بطبعه وفي رؤيا النهار بعادته كالشمس والقمر والكواكب والسرج والنور والظلمة والقناديل والخفاش وأمثال ذلك ومن كانت له في الناس عادة لازمته من المرئيات في سائر الأزمان أو في وقت منها دون وقت ترك فيها عادته التي عوّده ربه تعالى كالذي اعتاد اذا أكل اللحم في المنام أكله واذا رأى الدراهم دخلت عليه استفاد مثلها في اليقظة واذا رأى الامطار رآها في اليقظة أو يكون عادته في ذلك وفي غيره على ضده وعلى خلاف ما في الاصول وكل ما له في الرؤيا وجهان وجه يدل على الخير ووجه يدل على الشر أعطى لرائيه من الصالحين أحسن وجهيه وأعطى لرائيه من الطالحين اقبحهما وان كان ذلك المرئي ذا وجوه كثيرة متلونة متضادة متنافية مختلفة لم يصر الى وجه منها دون سائرها إلا بزيادة شاهد وقيام دليل من ضمير الرائي في المنام أو من دليل المكان الذي رأى نفسه فيه وان الرؤيا تاتي على ما مضى وخلا وفرط وانقضى فتذكر عنه بغفلة عن الشكر قد سلفت أو بمعصية فيه قد فرطت أو بتباعة منه قد بقيت أو بتوبة منه قد تاخرت وقد تاتي عما الانسان فيه وقد تاتي عن المستقبل فتخبر عما سيأتي من خير أو شر كالموت والمطر والفقر والغنى والعز والذل والشدة والرخاء وان اقدار الناس قد تختلف من بعض التاويل حسب اختلافها في نقصانها في الحدود والحظوظ وان تساووا في الرؤيا فلا يجيد تعبير ذلك المرئي الذي يتفقون في رؤيته في المنام إلا واسع المعاني متصرف الوجوه كالرمانة ربما كانت للسلطان كورة يملكها أو مدينة يلي عليها يكون قشرها جدارها أو سورها وحبها أهلها وتكون للتاجر داره التي فيها أهله أو حمامه أو فندقه أو سفينته الموقرة بالناس والاموال في وسط الماء أو دكانه العامر بالناس أو كتابه المملوء بالغلمان أو كيسه الذي فيه دراهمه ودنانيره وقد تكون للعالم أو للعالم الناسك كتابه ومصحفه وقشرها أوراقه وحبها كتابه الذي به صلاحه وقد تكون للأعزب زوجه بمالها وجمالها أو جارية بخاتمها يلتذ بها عند افتضاضها وقد تكون للحامل ابنة محجوبة في مشيمتها ورحمها ودمها وربما كانت في مقادير الأموال بيت مال السلطان وبدرة للعمال وألف دينار لاهل اليسار ومائة دينار للتجار وعشرة للمتوسط ودرهماً للفقير وخروبة للمسكين أو رغيف خبز أو مدّامن الطعام أو رمانه كما رآها لانها عقدة من العقد تحلّ في الاعتبار والنظر ، والقياس في الامثال المضروبة للناس على الاقدار والاجناس وما كان من الشجر ذات السيقان والشعب المعروفة بالفريقين فاكرمها عرب وما كان منها لا ساق لها كاليقطين ونحوه فهو من العجم أو من لا حسب له كالمطروح والحميل واللقيط وبذلك يوصل الى فوائد الزوائد وعوائدها وربما رأى الانسان الشيء فعاد تاويله الى شقيقه وربيبه أو مسميه أو نسيبه أو صديقه أو جاره أو شبيهه في فنّ من الفنون وانما يشترك بين الناس في الرؤيا بوجهين من هذه الاسباب كمن يتفق معه في النسب الواحد كشقيقه لاشتراكه معه في الابوة والنسب والبطن وكسميه وجاره ونظيره فلا تصحّ الشركة إلا بوجهين فصاعداً وليس تنقل الرؤيا ابداً برأسها عمن رويت له إلا أن لا تليق به معانيها ولا يمكن أن ينال مثله موجبها ولا أن ينزل به دليلها أو يكون شريكه فيها أحقّ بها منه بدليل يرى عليه وشاهد في اليقظة والنظر يزيد عليه كدلالة الموت لا تنقل عن صاحبها إلا أن يكون سليم الجسم في اليقظة وشريكه مريضاً فيكون لمرضه أولى بها منه لدنوّه من الموت واشتراكه معه في التاويل فلذلك يحتاج العابد الى أن يكون كما وصفوا أديباً ذكياً فطناً تقياً نقياً عارفاً بحالات الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيئاتهم يراعى ما تتبدّل مرائيه وتتغير فيه عبارته

عند الشتاء اذا ارتحل ومع الصيف اذا دخل عارفاً بالازمنة وأمطارها ونفعها ومضارها وبأوقات ركوب البحر وأوقات ارتجاجها وعادة البلدان وأهلها وخواصها وما يناسب كلّ بلدة منها وما يجيء من ناحيتها كقول القتبي في الجاورس ربما دلّ على قدوم غائب من اليمن لان شطر اسمه جا والورس لا يكون إلا من اليمن عارفاً بتفصيل المنامات الخاصية من العامية فيما يراه الانسان من المرئيات التي تجتمع العالم والخلق في نفعها كالسماء والشمس والقمر والكواكب والمطر والريح والجوامع والرحاب فما رآه في منامه من هذه الاشياء خالياً فيه مستبداً به أو رآه في بيته فهو له في خاصيته ، وقد قالت القدماء : من غلبت عليه السوداء رأى الاجداث والسواد والاهوال والافزاع فان غلبت عليه الصفراء رأى النار والمصابيح والدم والمعصفر وان غلب عليه البلغم رأى البياض والمياه والاندماء والأمواج وان غلب عليه الدم رأى الشراب والرياحين والعزف والصفق والمزامير ، وقد روى عن النبي ﷺ انه قال « الرؤيا ثلاثة فرؤيا بشرى من الله تعالى ورؤيا من الشيطان ورؤيا يحدّث بها الانسان نفسه فيراها » وقال النبي ﷺ « ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات » وقد قال بعض المفسرين في قوله عزوجل ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا ﴾ قال هي الرؤيا الصالحة وقيل ان العبد اذا نام وهو ساجد يقول ربنا عزوجل « انظروا الى عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي » وروى عن ابي الدرداء قال : اذا نام وهو ساجد يقول ربنا عزوجل « انظروا الى عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي » وروى عن ابي الدرداء قال « اذا نام رجل عرج بروحه الى السماء حتى يؤتى به العرش فان كان طاهراً أذن لها بالسجود ، واذا كان جنبا لم يؤذن لها في السجود » وقد اختلف الناس بالنفس والروح فقال بعضهم هما شيء واحد مسمى باسمين كما يقال الانسان ورجل وهما الدم أو متصلان بالدم يبطلان بذهابه والدليل على ذلك ان الميت لا يفقد من جسمه إلا دمه واحتجوا لذلك ايضاً في اللغة يقول العرب نفست المرأة اذا حاضت ونفست من الناس ويقولهم للمرأة عند ولادتها نفساء لسيلان النفس وهو الدم وربما لم يزل جارياً على ألسنة الناس من قولهم سالت نفسه اذا مات .

قال اوس بن حجر :

نبئـــت أن بنـي ســـحيم أدخـــلوا أبيـاتـهـــم تـامـــور نفـــس المنـــذر

والتامور الدم أراد قتلوه فاضاف الدم الى النفس لاتصالها به . وقال آخرون هما شيئان فالروح بادئة والنفس حارة ولهذا النفخ يكون من الروح ولذلك تراه بارداً بخلاف النفس فانه سخين وسمت العرب النفخ روحاً لانه من الروح يكون على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان متصلاً به وسبباً له فيقولون للنبات ندى لانه بالندى يكون ويقولون للمطر سماء لانه من السماء ينزل قال ذو الرمة لقادح نار :

فقـلـت لـه ارفـعـهـا اليـك وأحيـهـا بـروحـك واجعـلهـا لهـا فنيـة قـدرا

يريد أحيها بنفخك وأنشد بعض البغداديين :

وغـــلام ارســـلتـه امـــه بـاشـــاحـين وعقـد مـن ملـح

تبتـغـي الـروح فـاسـعفنـا بـهـا وشـفـاء مـاء عيـن فـي قـدح

وهذه امرأة استرقت لولدها فابتغت الروح أي في نفخ الرقي اذا نفث في ماء من ماء العيون واخذوا النفس من النفس وقالوا للنفس نسمة يقال على فلان عتق ، أي عتق نفس ، والله عز وجل يقول ﴿ ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وقد ذهب بعض المفسرين الى ان الروح روح الحياة في هذه المواضع وذهب بعض المفسرين الى انه ملك من الملائكة يقوم صفاً وتقوم الملائكة صفاً فان كان الامر على ما ذكره الاولون فكيف يتعاطى علم شيء استاثر الله عز وجل به ولم يطلع عليه رسول الله عليه السلام وقد امتحن بالسؤال عنه ليكون له شاهداً ولنبوته علماً . قال ابن قتيبة : لما كانت الرؤيا على ما اعلمتك من خلال مذاهبها وانصرافها عن اصولها بالزيادة الداخلة والكلمة المعترضة وانتقالها عن سبيل الخير الى سبيل الشر باختلاف الهيئات واختلاف الزمان والاوقات فان تاويلها قد يكون مرة من لفظ الاسم ومرة من معناه ومرة من ضده ومرة من كتاب الله تعالى ومرة من الحديث ومرة من المثل السائر والبيت المشهور احتجت أن أذكر قبل ذكر الاصول أمثلة في التاويل لارشدك بها الى السبيل . فاما التاويل بالاسماء فتحمله على ظاهر اللفظ كرجل يسمى الفضل تتاوله إفضالاً ورجل يسمى راشداً تتاوله إرشاداً ورشداً أو سالماً تتاوله السلامة واشباه هذا كثيرة وقد روي عن النبي ﷺ انه قال « رأيت الليلة كاننا في دار عقبة بن نافع فاتينا برطب بن طاب فاولت ان الرفعة لنا في الدنيا والآخرة وان ديننا قد طاب فاخذ من رافع الرفعة وأخذ طيب الدين من رطب بن طاب . وحكي عن شريك بن ابي شمر قال : رأيت اسنانى في النوم وقعت فسالت عنها سعيد بن المسيب فقال أوساءك ذلك أن صدقت رؤياك لم يبق من اسنانك أحد إلا مات قبلك

فعبرها سعيد باللفظ لا بالأصل في الأسنان أنها القرابة . وحكي عن بشر ابن ابي العالية قال : سألت محمداً عن رجل رأى كأن فمه سقط كله فقال هذا رجل قطع قرابته فعبرها محمد بالأصل لا باللفظ . وحكي عن الاصمعي قال : اشترى رجل أرضاً فرأى ان ابن اخيه يمشي فيها فلا يطأ إلا على رأس حية فقال ان صدقت رؤياه لم يفرس فيها شيء إلا جني قال وربما اعتبر الاسم اذا كثرت حروفه بالبعض على مذهب القائف والزاجر مثل السفرجل اذا رآه ولم يكن في الرؤيا ما يدل على انه مرض تؤوّله سفراً لأن شطره سفر وكذلك السوسن ان عدل به عما ينسب اليه في التاويل وحمل على ظاهر اسمه تأوّل فيه السوء لأن شطره سوء ، قال الشاعر :

وسوسنة اعطيتنيها فما كنت باعطائي لها محسنه
أولها سوء فان جئت بالآخر منها فهو سوء سنه

وأما التفسير بالمعنى فاكثر التاويل عليه ، كالابرج ان لم يكن مالًا وولداً عبر بالنفاق لمخالفة ظاهره باطنه . قال الشاعر :

أهدى له احبابه أترجة فبكى واشفق من عيافة زاجر
متعجباً لما أتته وطعمها لونان باطنها خلاف الظاهر

وأما التاويل بالمثل السائر واللفظ المبتذل فكقولهم في الصائغ انه رجل كذوب لما جرى على ألسنة الناس من قولهم فلان يصوغ الاحاديث ، وكقولهم فيمن يرى ان في يديه طولًا انه يصطنع المعروف لما جرى على ألسنة الناس من قولهم هو أطول يداً منك وأمد باعاً : أي أكثر عطاء .

وقال النبي ﷺ لأزواجه رضي الله عنهن « أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » فكانت زينب بنت جحش أول أزواجه موتاً وكانت تعين المجاهدين وترفدهم ، وكقولهم في المرض انه نفاق لما جرى على ألسنة الناس لمن لا يصحّ لك وعده هو مريض في القول والوعد . وقال الله عز وجل ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ أي نفاقاً ، وكقولهم في المخاط انه ولد لما جرى على ألسنة الناس من قولهم لمن أشبه أباه هو مخطته والهر مخطة الاسد . وأصل هذا ان الاسد كان حمله نوح عليه السلام في السفينة فلما آذاهم الفار دعا الله تعالى نوح فاستنثر الأسد فخرجت الهرة بنثرته وجاءت أشبه شيء به وكقولهم فيمن رمى الناس بالسهام أو البندق أو حذفهم أو قذفهم بالحجارة انه يذكرهم ويفتابهم لما جرى على ألسنة الناس من قولهم رميت فلاناً بالفاحشة . وقال تعالى ﴿ والذين يرمون المحصنات ، والذين يرمون أزواجهم ﴾ وكقولهم فيمن قطعت اعضاؤه انه يسافر ويفارق عشيرته أو ولده في البلاد لما جرى على ألسنة الناس من قولهم تقطعوا في البلاد والله عز وجل يقول في قوم سبا ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾ وقال ﴿ وقطعناهم في الأرض اممماً ﴾ وكقولهم في الجراد انها في بعض الاحوال غوغاء الناس لأن الغوغاء عند العرب الجراد ، وكقولهم فيمن غسل يديه بالأشنان انه اليأس من شيء يطلبه لقول الناس لمن ييأس منه قد غسلت يدي منك باشنان ، قال الشاعر :

واغسل يديك باشنان وأنقهما غسل الجنابة من معروف عثمان

وكقولهم في الكبش انه رجل عزيز مذيع لقول الناس هذا كبش القوم وكقولهم في الصقر انه رجل له شجاعة وشوكة لقول الناس هو صقر من الرجال ، قال ابو طالب :

تتابع فيها كلُ صقر كأنه إذا ما مشى في رفرف الدرع أجرد

وأما التاويل بالضد والمقلوب ، فكقولهم في البكاء انه فرح وفي الضحك انه حزن ، وكقولهم في الرجلين يصطرعان والشمس والقمر يقتتلان اذا كانا من جنس واحد ان المصروع هو الغالب والصارع هو المغلوب وفي الحجامة انها صك وشرط وفي الصك انه حجامة وقولهم في الطاعون انه حرب وفي الحرب انه طاعون وفي السيل انه عدو وفي العدو انه سيل وفي أكل التين انه ندامة وفي الندامة انه أكل تين وفيمن يرى انه مات ولم يكن لموته هيئة الموت من بكاء أو حفر قبر أو إحضار كفن انه ينهدم بعض داره وقولهم في الجراد انه جند وفي الجند انه جراد . أما تعبير الرؤيا بالزيادة والنقصان فكقولهم في البكاء انه فرح فان كان معه رنة كان مصيبة وفي الضحك انه حزن فان كان تبسماً كان صالحاً وقولهم في الجوز انه مال مكنوز فان كان معه قمقمة فانه خصومة وفي الدهن اذا أخذ منه بقدر فانه زينة فان سال على الوجه فانه غم وان كثر على الرأس كان مداهنة للرئيس وفي الزعفران انه ثناء حسن فان ظهر له لون في ثوب أو جسد فهو مرض أو هم وفي الضرب انه كسوة فان ضرب وهو مكتوف فهو ثناء سوء يثنى عليه لا يمكنه رفعه ولمن يرى أن له ريشاً فهو له رياش وخير فان طار بجناحه سافر سفراً في سلطان بقدر ما علا على الأرض وفيمن يرى أن يده قطعت وهي معه قد أحرزها انه يستفيد أخاً أو ولداً فان رأى انها فارقته وسقطت فانها مصيبة له في أخ أو ولد وفي المريض يرى انه صحيح يخرج من منزله ولا يتكلم انه يموت فان تكلم فانه يبرأ وفي الفار انها نساء ما لم تختلف ألوانها فان اختلفت فكان فيها الابيض والاسود فهي الليالي والأيام وفي السمك اذا

عرف الانسان عدده انه نساء فان كثر عدده فهو مال وغنيمة .

وقد تعبّر الرؤيا بالوقت كقولهم في راكب الفيل انه ينال امراً جسيماً قليل المنفعة فان رأى ذلك في نور النهار طلّق امرأته أو أصابه بسببها سوء وفي الرخمة انها انسان أحمق قذر . وأصدق الرؤيا بالاسحار وبالقائلة وأصدق الاوقات وقت انعقاد الانوار ووقت ينع الثمر وإدراكه وأضعفها الشتاء ورؤيا النهار أقوى من رؤيا الليل وقد تتغير الرؤيا عن أصلها باختلاف هيئات الناس وصناعاتهم وأقدارهم وأديانهم فتكون لواحد رحمة وعلى آخر عذاباً ومن عجيب أمر الرؤيا ان الرجل يرى في المنام ان نكبة نكبته وان خيراً وصل اليه فتصيبه تلك النكبة بعينها وينالـه ذلك الخير بعينه وفي الدراهم اذا رأوها ان يصيبوها وفي الولاية اذا رأوها ان يلوها وفي الحج ان رأوه ان يحجوا وفي الغائب يقدم في المنام فيقدم في اليقظة وربما رأى الصبي الصغير الشيء فكان لاحد أبويه والعبد فكان لسيده والمرأة فكان لبعلها أو لاهل بيتها .

وحكي :ان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وجّه قاضياً الى الشام فسار ثم رجع من الطريق فقال له ما ردّك ؟ قال : رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان وكان الكواكب بعضها مع الشمس وبعضها مع القمر ، قال عمر : مع أيهما كنت ، قال : مع القمر ، وقال عمر : انطلق لا تعمل لي عملاً ابدا ثم اقرأ ﴿ فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ فلما كان يوم صفين قتل الرجل مع أهل الشام ويلغني ان الرجل هو جابر بن سعيد الطائي . حدّث اسحاق ابن ابراهيم الموصلي قال : كنت عند يزيد بن مزيد فقال اني رأيت رؤيا عجيبة ودعا بعابر فقال رأيت كاني أخذت طيطوى لاذبحه فامررت السكين على حلقه ثلاث مرات فانقلبت ثم ذبحته في الرابعة ، فقال رأيت خيراً هذه بكر عاجلتها فلم تقدر عليها ثلاث مرات ثم قدرت عليها في الرابعة ، قال نعم وصغى اليه فقال في الرؤيا شيء قال ما هو ؟ قال كانت هناك ضريطة من الجارية قال صدقت والله فكيف علمت ؟ فقال ان اسم الطائر طيطوى . قال ابن قتيبة رضي الله عنه : يجب على العابر التثبت من ان يقول ما يتشكل عليه لا أعرفه . وقد كان محمد بن سيرين إمام الناس في هذا الفنّ وكان ما يمسك عنه أكثر مما يفسر .وحدّث الاصمعي عن أبي المقدام أو قرّة بن خالد قال : كنت أحضر ابن سيرين يسئل عن الرؤيا فكنت أحزره يعبّر من كل اربعين واحدة . قال ابن قتيبة : وتفهم كلام صاحب الرؤيا وتبينه ثم أعرضه على الاصول فان رأيته كلاماً صحيحاً يدلّ على معان مستقيمة يشبه بعضها بعضاً عبرت الرؤيا بعد مسئلتك الله تعالى ان يوفقك للصواب وان وجدت الرؤيا تحتمل معنيين متضادّين نظرت أيهما اولى بالفاظها وأقرب من اصولها فحملها عليه وان رأيت الاصول صحيحة وفي خلالها امور لا تنتظم القبت حشوها وقصدت الصحيح منها وان رأيت الرؤيا كلها مختلطة لا تلتئم على الاصول علمت انها من الاضغاث فاعرض عنها وان اشتبه عليك الامر سألت الله تعالى كشفه ثم سألت الرجل عن ضميره في سفره إن رأى السفر وفي صيده ان رأى الصيد وفي كلامه ان رأى الكلام ثم قضيت بالضمير فان لم يكن هناك ضمير أخذت بالاشياء على ما بينت لك وقد تختلف طبائع الناس في الرؤيا ويجرون على عادة فيها فيعرفونها من أنفسهم فيكون ذلك أقوى من الاصل فينزل على عادة الرجل ويترك الاصل وقد تصرف الرؤيا عن أصلها من الشر بكلام الخير والبر وعن أصلها من الخير بكلام الرفث والشر فان كانت الرؤيا تدل على فاحشة وقبيح سترت ذلك ووريت عنه بأحسن ما تقدر على ذلك من اللفظ وأسررته الى صاحبها كما فعل ابن سيرين حين سئل عن الرجل الذي يفقأ بيضاً من رؤوسه فيأخذ بياضه ويدع صفرته فانك لست من الرؤيا على يقين وانما هو حدس وترجيح الظنون فاذا أنت بدهت السائل بقبيح ألحقت به شائبة لعلها لم تكن ولعلها ان كانت منه أن يرعوي ولا يعود واعلم ان أصل الرؤيا جنس وصنف وطبع فالجنس كالشجر والسباع والطير وهذا كله الاغلب عليه انه رجال والصنف أن يعلم صنف تلك الشجرة من الشجر وذلك السبع من السباع وذلك الطائر من الطيور فان كانت الشجرة نخلة كان ذلك الرجل من العرب لان منابت أكثر النخل بلاد العرب وان كان الطائر طاووساً كان رجلًا من العجم وان كان ظليماً كان بدوياً من العرب والطبع ان تنظر ما طبع تلك الشجرة فتقضي على الرجل بطبعها فان كانت الشجرة جوزاً قضيت على الرجل بطبعها بالعسر في المعاملة والخصومة عند المناظرة وان كانت نخلة قضيت عليها بانها رجل نفاع بالخير مخصب سهل حيث يقول الله عز وجل ﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ يعني النخلة ، وان كان طائراً علمت انه رجل ذو أسفار كحال الطير ثم نظرت ما طبعه فان كان طاووساً كان رجلًا أعجمياً ذا جمال ومال وكذلك ان كان نسراً كان ملكاً وان كان غراباً كان رجلًا فاسقاً كذاباً ولأن نوحاً عليه السلام بعث به ليعرف حال الماء أنضب أم لا فوجد جيفة طافية على الماء فوقع عليها ولم يرجع فضرب به المثل وقيل لمن ابطأ عليك أو ذهب فلم يعد اليك غراب نوح وان كان عقعقاً كان رجلًا لا عهد له ولا حفظ ولا دين ، قال الشاعر :

ألا انمـا حملتـم الامـر عقـعقـاً لـه نحـو علـيـاء البـلاد حنيـن

وان كان عقاباً كان سلطاناً محارباً ظالماً عاصياً مهيباً كحال العقاب ومخالبه وجثته وقوته على الطير وتمزيقه لحومها فينيفي

لصاحب الرؤيا أن يتحرى الصدق ولا يدخل في الرؤيا ما لم يرَ فيها فيفسد رؤياه ويغش نفسه ويجعل عند الله تعالى من الآثمين ، وروي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لا رؤيا لخائف إلا ما يحب يعني في تاويلها يفرج أمره وذهاب خوفه ومن الناس من يرى انه أصاب وسقا من التمر فيصيب من المال مائة درهم وآخر قد يرى مثله فيصيب الف درهم وآخر يرى مثله فهو له حلاوة دينه وصلاحه فيه وذلك من همة الرجال وأقدارها وإيثارها أمر دينها ومنهم من يرى انه اصاب من النبق عشراً فيصيب من الورق عشرة دراهم وآخر يرى مثله فيصيب ألف درهم وذلك من مجرى قدرهما وطبيعتهما وأصدق الرؤيا رؤيا ملك أو مملوك أو ربما لم توافق طبيعة الانسان في منامه موضعاً معلوماً يعرفه بعينه أو محلة أو داراً أو رجلًا أو امرأة جميلة أو قبيحة أو معروفة أو مجهولة أو طائراً أو دابة أو علماً أو صوتاً أو طعاماً أو شراباً أو سلاحاً أو نحوه فهو به مولع كلما رآه في منامه أصابه همّ أو خوف أو بكاء أو مصيبة أو شخوص أو غير ذلك مما يكره وهو فيما سواه من الرؤيا بمنزلة غيره من الناس في تاويلها وأمثالها وربما وافقت طبيعة الانسان في منامه بعض ما وصفت من ذلك فهو به مولع كلما رآه في منامه أصاب خيراً أو مالًا أو ظفراً أو غير ذلك مما يحب وهو فيما سواه من الرؤيا بمنزلة غيره من الناس في تاويلها وقد يكون الانسان صدوقاً في حديثه فتصدق رؤياه ويكون كذاباً في حديثه ويحب الكذب فتكذب عامة رؤياه ويكون كذاباً ويكره الكذب من غيره فتصدق رؤياه لذلك ورؤيا الليل أقوى من رؤيا النهار وأصدق ساعات الرؤيا بالاسحار واذا كانت الرؤيا قليلة جامعة ليس فيها حشو كلام وكثرته فهي أنفذ وأسرع وقوعاً واياك اياك أن تحرف مسئلة عن وجه تاويلها المعروف في الاصول أو تجاوز بها حدها المعلوم رغبة منك أو رهبة فيحق عليك بالكذب ويعمى عليك سبيل الحق فيه بل يسعك السكوت ان كرهت الكلام به واذا رأيت في منامك ما تكرهه فاقرأ اذا انتبهت من نومك آية الكرسي ثم اتفل عن يسارك وقل اعوذ برب موسى وعيسى وابراهيم الذي وفى ومحمد المصطفى من شر الرؤيا التي رأيتها أن لا تضرني في ديني ودنياي ومعيشتي عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره وأعرف الأزمنة في الدهر فاذا كانت الشجرة عند حملها ثمارها فان الرؤيا في ذلك الوقت مرجوّة قوية فيها بطء قليل واذا كانت الرؤيا عن إدراك ثمر الشجرة ومنافعها واجتماع أمرها فان الرؤيا عند ذلك ابلغ وأنفذ وأصح وأوفق واذا أورقت الشجرة ولم يطلع ثمارها فان الرؤيا عند ذلك دون ما وصفت في القوّة والبقاء دون الغاية واذا سقط ورقها وذهب ثمرها فان الرؤيا عند ذلك أضعف والاضغاث والاحلام فيها عند ذلك أكثر واذا وردت عليك من صاحب الرؤيا في تاويل رؤياه عورة قد سترها الله عليه فلا تجبه منها بما يكره أن يطلع عليه مخلوق غيره ان كان مبتلى لا حيلة له ولكن عرض له حتى يعلمها إلا ان يكون له من ذلك مخرج أو يكون مصراً على معصية الله أو قد همّ بها فعظه عند ذلك واستر عليه كما أمر الله تعالى واستر ما يرد عليك من الرؤيا في التاويل من أسرار المسلمين وعوراتهم ولا تخبر بها إلا صاحبها ولا تنطق بها عند غيره ولا تحكها عنه ولا تسمه فيها ان ذكرتها ولا تحك عن أحد مسئلة رؤيا ان كان فيها عورة يكرهها فانك ان فعلت ذلك اغتبت صاحبها ولا تصدرن رأيك في مسئلة حتى تفتشها وتعرف وجهها ومخرجها وقدرها واختلاف الطبائع التي وصفت لك فانك عند ذلك تبصر ما عمل الشيطان في تخليطها وفسادها عليك وإدخال الشبهات والحشو فيها فان أنت صفيتها من هذه الآفات التي وصفت لك ووجدت ما يحصل من كلام التاويل صحيحاً مستقيماً موافقاً للحكمة فذلك تاويلها صحيح وقد بلغني ان ابن سيرين كان يفعل كذلك واذا وردت عليه رؤيا مكث فيها ملياً من النهار يسأل صاحبها عن حاله ونفسه وصناعته وعن قومه ومعيشته وعن المعروف عنده من جميع ما يسأل عنه والمجهول منه ولا يدع شيئاً يستدل به ويستشهد به على المسئلة إلا طلب علمه . وأعلم ان نفانك في علم الرؤيا بثلاثة أصناف من العلم لا بد لك منها : أولها حفظ الاصول ووجوهها واختلافها وقوتها وضعفها في الخير أو في الشر لتعرف وزن كلام التاويل ووزن الاصول في الخفة والرجحان والوثائق فيما يرد عليك من المسائل فان تكن مسئلة يدل بعضها على الشر وبعضها على الخير زن الأمرين والاصلين في نفسك وزناً على قوة كل أصل منهما في اصول التاويل ثم خذ بارجحهما وأقواهما في تلك الاصول .

والثاني تاليف الاصول بعضها الى بعض يخلصها كلاماً صحيحاً على جوهر اصول التاويل وقوتها وضعفها وتطرح عنها الاضغاث والتمني وأحزان الشيطان وغيرها مما وصفت لك أو يستقر عندك انها ليست رؤيا ولا يلتئم تاويلها فلا تقبلها .

والثالث شدة فحصك وتثبتك في المسئلة حتى تعرفها حق معرفتها وتستدل من سوى الاصول بكلام صاحب الرؤيا ومخارجه ومواضعه على تلخيصها وتحقيقها وذلك من أشد علم تاويل الرؤيا كما يزعمون وفي ذلك ما يكون من العلم بالاصول وبذلك يستخرج ويتوصل العابر وإلا فالاقتداء بالماضين من الانبياء والرسل والحكماء في ذلك أقرب الى الصواب ان شاء الله فافهم وان اردت أن تفهم وزن كلام الرؤيا في رجحان وزنه وخفته فاستدل بمسئلة بلغني فيها عن ابن سيرين ان امرأة سألته انها رأت في منامها رجلًا مقيداً مغلولًا فقال لها لا يكون هذا لأن القيد ثبات في الدين وايمان والغل خيانة وكفر فلا يكون المؤمن كافراً قالت المرأة قد والله رأيت هذه

الرؤيا بحال حسنة واني انظر الى الغل في عنقه ساجور فلما سمع بذكر الساجور قال لها نعم قد عرفت الآن لان الساجور من خشب والخشب في المنام نفاق في الدين كما قال في المنافقين ﴿ كانهم خشب مسندة ﴾ فصار الساجور والغل جميعاً وكل واحد منهما في تأويله نفاق وخيانة وكفر وهما في أمثال التاويل أقوى من القيد وحده وليس معه شاهد يقويه فهذا رجل يدعى الى غير ابيه والى غير قومه ويدعى الى العرب وليس منهم قالت المرأة انا لله وانا اليه راجعون وهكذا كل مسئلة من الرؤيا معها شاهد أو شاهدان تدل على تحقيق التاويل كما قال الله تعالى يحكي رؤيا فرعون يوسف ﴿ اني أرى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف ﴾ الى آخر الاية فالبقرات السمان هي السنون الخصبة والعجاف هي السنون الجدبة وقال ﴿ وسبع سنبلات خضر واخر يابسات ﴾ وهي السنون المسماة في تاويل البقرات ولكنها صارت شاهدات لتحقيق هذه السنين في البقرات كما صار الساجور شاهداً للغل بتحقيق الخيانة والكفر وليس نوعاً من العلم مما ينسب الى الحكمة إلا يحتاج اليه في تاويل الرؤيا حتى الحساب وحتى الفرائض والاحكام والعربية وغرابتها لمعاني الاسماء وغيرها وما فيها من أمثال الحكمة وشرائع الدين والمناسك والحلال والحرام والصلاة والوضوء وغير ذلك من العلم والاختلاف فيه يقاس عليه ويؤخذ منه فيه فليكن ما في يدك من الاصول المفسرة لك أوفق عندك مما ياتيك به صاحب الرؤيا ليزيلك عنها وان كان ثقة صدوقا عندك . واعلم انه لم يتغير من اصول الرؤيا القديمة شيء ولكن تغيرت حالات الناس في هممهم وآدابهم وايثارهم أمر دنياهم على أمر آخرتهم ، فلذلك صار الاصل الذي كان تاويله همة الرجل وبغيته وكانت تلك الهمة دينه دون دنياه فتحولت تلك الهمة عن دينه وإيثاره إياه فصارت في دنياه وفي متاعها ونضارتها وهي أقوى الهمتين عند الناس اليوم إلا أهل الدين والزهد في الدنيا وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون التمر فيتاولونه حلاوة دينهم ويرون العسل فيتاولونه قراءة القرآن والعلم والبر وحلاوة ذلك في قلوبهم فصارت تلك الحلاوة اليوم والهمة في عامة الناس في دنياهم ونضارتها إلا القليل ممن وصفت وقد يرى الكافر الرؤيا الصادقة حجة الله عليه . الا ترى فرعون يوسف رأى سبع بقرات كما اخبر الله تعالى في كتابه فصدقت رؤياه . ورأى بختنصر زوال ملكه وعظيم ما يبتلى به فصدقت رؤياه على ما عبرها له دانيال الحكيم . ورأى كسرى زوال ملكه فصدقت رؤياه ، فاعرف هذا المجرى في التاويل واعتبر عليه ترشد ان شاء الله تعالى .

(٢)

ابو حيان التوحيدي

(أ) المقابسة ٣٢ : سمعت ابن عبدالكاتب يقول لابي محمد العروضي (٣٧ أ) وكان ابو محمد يتفلسف ولزم يحيى بن عدي دهراً ، أنا قليل الرؤيا ، وقد ساعني . وقد خلت ان ذا من عمى القلب . فقال ابو محمد : هذا يكون من أمرين مختلفين . أحد الامرين كدر النفس بالجهل ، وظلمتها بالغباوة ، وامحاء صورتها بصدأ الدهر ، وقلة اقتناء المعارف ، وشدة انجرادها من العبر . وهذه حال دهماء الناس . وأما الآخر فهو أن تعلو النفس في مراتب المعارف ، وترتعي رياض العلم ، حتى تصير حالها في الحلم قسيمة حالها في اليقظة ، فلا يستفيد صاحب هذه النفس شيئاً بالمثال والتشبيه من ناحية الرؤيا ، لاستواء حاله في المنام واليقظة . وربما تحولت تلك القوة من المنام الى الفراسة في اليقظة ، والى الكهانة ، حتى اذا حدس قرطس ، واذا ظنّ ظن ، واذا وهم هجم ، واذا اعتبر عبر . وربما تحولت الى ما يرفد العقل فقط ، باستخراج الدقائق ، وتاليف المقدمات ، واستنباط النتائج ، والوصول الى سرارة الحق ، وبحبوحة الصواب . وربما صارت الحال مصادقة للحقائق ، بزوال الوسائط ، من غير اعمال اداة ، واحضار آلة . قال : وهذه كلها درجات النفس ، تارة من ناحيتها بالبحث والتنقير والنظر والتقليب ، وتارة بالوحي والالهام والالقاء والسنوح والموافقة والمصادقة ، وما جرى من نظائر هذه المعاني ، والتبس بما يكون شكلاً لها . وهذه حال تقع أولاً في مزاج مهيا ، وتركيب معدل ، وطينة حرة ، ثم تظهر ثانياً بتهذيب النفس ، وتطهير الاخلاق ، وتصفية الاعمال ، وقمع الشهوات . وكل من كان قسطه من الحال الفلكية أوفر كان مضاؤه في الحال البشرية أظهر . وهذا باب طويل الذيل ، مئاس .

وفيما وقع النفس عليه ، ووصلت الاشارة اليه ، بلاغ لمن آثر رشده ، وقصد حظه ، وبذل سعيه ، وام غايته . وفقنا الله لما نحب ، واستعملنا فيما يرضى ، انه قريب مجيب .

(ب) المقابسة ١٠٢ : قال بعض اصحابنا : كل شيء اجوزه في المنام من اثار النفس ، فاني اجوزه في اليقظة . وكل شيء اجوزه في اليقظة ، اجوزه في المنام ، إلا التركيبات ، فان النفس تخترع منها اموراً لا تستجيب المواد لها . قال : وانما اعني بما أجوزه : الانذارات ، والاطلاعات ، وقوة الكهانة ، وما أشبه ذلك .

وهذا الذي قاله هذا الشيخ يحتاج الى شرح . ولعمري للنفس هذه القوة ، وهي لها بالحق الواجب ، ولكن البيان عن كون ذلك على التحقيق بالفعل عزيز ، ولعل الزمان يستهل فيمكن العطف عليه بما يزيده شرحاً ووضوحاً ان شاء الله . وعلى ذلك فاني اقول في هذه

الحال ما يعين من الحق اياه نقصد ، وفي طلبه نسعى ونَجْتهد .

وارجو أن لا يكون هذا الاعرام والتجرؤ يمتا مني ، بعد ذلك الاستغفاء والتقادي وليس ينبغي أن نجترىء على العلم ، مدخدعين في طلبه ، بادعاء ما لا يفي به . ولا يحسن أيضاً بنا أن نبخل بما وهبه الله لنا ، وفتحه علينا ، متوهمين اننا مقصرون فيه . وكما ان اظهار التشجيع ، مع اخفاء الخور ، قبيح ، كذلك اظهار التعاجز ، مع كمال القدرة ، قبيح . والخير ابداً بين الطرفين ، [والوسط] مطلوب كل ذي عقل وعين . فانن لا باس بأن يكون ذلك العطف على ما سبق من قول هذا الفيلسوف في هذه المقابسة في موضعنا هذا ، فنكون قد أفدنا بمبلغ علمنا ، ووكلنا المستفيد منا في الزيادة منها الى غيرنا ، ممن رفع الله درجته علينا ، وجعله المحسن الينا .

اعلم ان الحال التي قد وضعت الفرق بين اليقظة والنوم هي التي يتجلى الانسان بقوة أحدهما ، فتشرح له اموراً قد سبقت باعيانها وجواهرها وأغراضها ، واموراً هي مشهورة الآن على ما هي عليه من حقائقها وزخارفها ، واموراً على الزماع في الثاني من أوقاتها . وهذا الانجلاء والشرح يستفادان من وجهتين ، أحدهما هي الهيئة الحاصلة للشخص ، في النسخ والأصل ، اللذين يتفقان بالقسمة السماوية والقوى العلوية ، والاخرى هي الهيئة الحاصلة للشخص في الفرع ، والثاني بالروية النفسية والقوى الفكرية . وهاتان الهيئتان انما تختلفان بالنظر الطبيعي ، وإلا فالاتفاق واقع بالنظر العقلي ، والاول الالهي . فعلى هذا لا فرق بين اليقظة والنوم ، ما دام الحلم يصدر من صاحبه عن اطلاع النفس ، وراحة العقل ، والفيض السابق ، وهذه حال لها مناسب كثيرة الى القوة والضعف ، والشدة واللين ، والفمور والنضوب . وبحسب ذلك يصح الانذار ويصدق الزجر ، وتحق الكهانة . وانما لم يتدافع الحال في مثل هذا الموضع لأن النظر كان موصولًا بالامور المجردة ، والمباحث الصافية ، والحقائق المثمرة للسكون والثقة . وأما ما اتصل بالتركيب فان النفس تفضل قوتها ، فتبدع اصنافاً وضروباً لا سبيل الى بروز شيء منها من القوة الى الفعل لعسر الهيولى ، وعدم انقيادها ، لأن الطبيعة لا تليها ، ولا تعطف عليها . وانما تقف الطبيعة عنها ، لأن النفس لا تأنن لها في توليها ، ولا تلقى اليها أمائلها ورسومها ، والنفس أيضاً في هذا تتشبه بالعقل ، فما لم تجد منه ، لم تجد به ، وما أخذت عنه لا تحبسه عما يطلبه ، والجود ، وان كان في الغاية والنهاية ، فان قابل الجود لا يعدو طوره ، ولا يجوز طوقه ، ولا يتطاول الى ما ليس له .

قد تيسر الآن ما ترى من ايضاح ما قاله هذا الشيخ ، من تجويزه في المنام جميع ما يجوزه في اليقظة ، إلا التركيب ، لأن التركيب ورث في الطبيعة في القابل . وفي آثار النفس أيضاً تركيب ولكن الالهي ، الا ترى ان التحاب في العدد ، والتباغض ، والتكعيب ، والتثليث ، انما هو من فنون التركيب ، ولكن بنوع خارج من آثار الطبيعة في المواد [المنقادة] ، حتى اذا علوت عن هذه الربوة اللوائق بالعقل ، وجدت هناك اموراً يضل عنها وصف البيان . وهذا الفعل خصوصية ليس بعدها سعي ، ولا دونها رضى . جعلنا الله واياك من صفوته ، بجوده ، وكرمه ، وقدرته .

(٣)
ابو حيان التوحيدي
ومسكويه

(أ) مسئلة في الرؤيا : ما السبب في صحة بعض الرؤيا وفساد بعضها ؟
ولِمَ لمْ تصح الرؤيا كلها ، أو لِمَ لمْ تفسد كلها ؟
وعلام يدل ترجُحُها بين هذين الطرفين ؟ فلعل في ذلك سراً يظهر بالامتحان .

الجواب :

قال ابو علي مسكويه : قد صح وثبت من المباحث الفلسفية ان النفس أعلى من الزمان ، وان أفعالها غير متعلقة بشيء من الزمان ، ولا محتاجة اليه ؛ إذ الزمان تابع للحركة ، والحركة خاصة بالطبيعة ، واذا كان ذلك كذلك ، فالاشياء كلها حاضرة في النفس سواء الماضي والمستقبل منها ، فهي تراها بعين واحدة ، والنوم انما هو تعطيل النفس بعض آلاتها اجمالًا لها ـ اعني بالآلات الحواس ـ وهي اذا عطلت هذه الحواس بقيت لها أفعال اخر ذاتية خاصة بها من الحركة التي تسمى رؤية وجولاناً نفسانياً . وهذه الحركة التي لها في ذاتها تكون لها بحسب حالين : اما إلهياً وهو نظرها في افقها الاعلى ، واما طبيعياً وهو في نظرها في افقها الادنى . وكما انها اذا كانت مستيقظة ترى بحاسة العين الشيء مرة رؤية جلية ، ومرة رؤية خفية بحسب القوة الباصرة من الحدة والكلال ، وبحسب الشيء المنظور اليه في اعتدال المسافة ، وبحسب الأشياء الحائلة بينها وبينه من الرقة والكثافة . وهذه أحوال لا يستوي

فيها النظر ، بل ربما نظر الناظر بحسب واحدة من هذه العوارض الى حيوان فظنه جماداً ، وربما ظنه سبعاً وهو انسان وربما ظنه زيداً وهو عمرو ، فاذا زالت تلك الموانع ، وارتفعت العوائق أبصرها بصراً تاماً . كذلك حالها اذا كانت نائمة أي غير مستعملة آلة الحس انما ترى من الشيء ما يحصل من الرسم الاول ـ أعني الجنس العالي الشامل للاشياء التي هو عام لها ـ ثم لا يزال يتخلص لها بصورة بعد صورة حتى تراه صريحاً بيّناً ، فان اتفق أن ترى من الشيء رسمه احتيج فيما تراه الى تأويل وعبارة ، وان رأته مكشوفاً مصرحاً كانت الرؤيا غير محتاجة الى تفسير ، بل يكون الشيء بعينه الذي رأته في النوم هو الذي ستراه في اليقظة .

وهذا هو القسم الذي لها بحسب نظرها السريع الشريف الذي من افقها الاعلى ، وبه تكون الانذارات والرؤيا الصادقة التي هي جزء من النبوة .

فاما القسم الآخر الذي لها بحسب نظرها الادون من افقها الاسفل ، فانها تتصفح الاشياء المخزونة عندها من الصور الحسية التي انما استقتها من المبصرات والمسموعات بالحواس وهي منثورة لا نظام لها . ولا فيها إنذار بشيء ، وربما ركبت هذه الصور تركيباً عبثياً كما يفعله الانسان الساهي أو العابث من أفعال لا يقصد بها غرضاً كالولع بالاطراف ، ربما يليها من الاشياء ولا فائدة له فيها . وهذه الرؤى لا تتأول وانما هي الاضغاث التي سمعت بها .

(ب) مسألة : ما الرؤيا فقد جلّ الخطب فيها ، وهي جزء من اجزاء النبوة ، وما الذي يَرى ما يُرى ؟ وما الذي يُرى ما يُرى ؟ النفس أم الطبيعة أم الانسان ؟ وأكره أن أترقى الى البحث عن النفس ، وتحقيق شانها ، وما قال الاولون والآخرون فيها .

واذا كان هذا معجزاً ، وعن الطاقة بارزاً ، فما ظنك بالبحث عن العقل ، أُفُقُهُ أعلى ، وعالَمُهُ أشرف ، وآثاره ألطف ، وميزاتُه أشد اتصالاً ، وبرهانه أبعد مجالاً ، وشُعاعه أقوى سلطاناً ، وفوائده أكثر عياناً .

الجواب : قال ابو علي مسكويه ـ رحمه الله : ان النفس ترى عند غيبة المرئيات ما تراه في حضورها .

وهذه حال يجدها الانسان من نفسه ضرورة لا يُمكنه أن يدفعني عنها ، وإلا فمن أين لنا صورة بغداد وخراسان والبلاد التي شاهدناها مرة ، ثم ما زلنا بها وصور اصدقائنا فيها ، وجميع ما نتذكره من الصبا لولا حُصُولُ هذه الصورة في الحاس المشترك ؟ سيّما وقد تبيّن بياناً لا ريبه فيه ان البصر وسائر الحواس انما هي انفعالات من المحسوسات ، واستحالات اليها ، وهذه الاستحالة لا تثبت بعد زوال المحسوس المخيّل ، فلولا هذا الحاسّ المشترك العام الذي تثبت فيه صور المحسوسات ولا تزول ، لكنا اذا أبصرنا شيئاً أو سمعناه ثم زال عن بصرنا وسمعنا زالت عنا صورته البتة حتى لا يمكننا أن نعرف صورته إلا اذا وقعت ابصارُنا واسماعنا عليه ثانياً ، ولكنا أيضاً مع ابصارنا له ثانياً وثالثاً لا نعلم انه الاول ، وكذلك المسموعات .

ولولا اننا نستثبتُ صورة المحسوسات أوّلا أوّلا في هذه القوة ـ اعني الحاس العام المشترك ـ لكنا لا نستفيد بالقراءة ، ورؤية الرقص والحركات كلها التي تنتهي من آنات الزمان شيئاً البتة ، لان البصر مستحيل بقراءة الحرف بعد الحرف ، وبالحركة بعد الحركة ، فلا تثبت الحالة الاولى من استحالتها ، ولو ثبتت الاولى لما حصلت الثانية ، لكن الامر بالضد في وجودنا هذه الصور بعد مفارقتها كانها نصب عيوننا ، تراها النفس .

وهذه الرؤية التي تسمى تذكراً في اليقظة هي بعينها تسمى في النوم رؤيا ولكن هناك حال اخرى زائدة على حال اليقظة ؛ لان قوى النفس عند تعطيل الحواس تتوفر على الرؤية فترى أيضاً الاشياء الآتية في الزمان المستقبل : اما رؤية / جلية ، واما رؤية خفية كالرسم .

واشتقاق هذه الالفاظ يدلك ـ أيها الشيخ اللغوي أيدك الله ـ ان المعنى فيها واحد ؛ لان الرؤية ، والرُؤيَة ، والرؤيا ـ وان اختلفت بالحركات ـ فهي متفقة بالحروف ، وكذلك اذا قلت : رأى فلان ، وارتأى ورؤى ، فهذه صورة الاسماء المشتقة ، وأنت تعرف احكامها لدُرْبَتِك بها . وكذلك الحال في أبْصَرَ ، واسْتَبْصَرَ ، وفي البَصَر ، والبَصيرَة . فاما لفظة النظر فانها استعملت بعينها في الامرين جميعاً من غير زيادة ولا نقصان ، فقيل لما كان بالحس : نظر ، ولما كان بالعقل : نظر من غير تغيير لحركة ولا تبديل لحرف .

فقد تبين ما الرؤيا ، وما الذي يَرى ، وما الذي يُرى : اما الرؤيا فهي ملاحظة النفس صُوَر الاشياء مجردة من موادها عند النوم .

واما الذي يَرى فالنفس بالآلة التي وصفناها . وأما الذي يُرى فالصورة المجردة .

وقد مرّ في المسألة المتقدمة كيف يكون بعض المنام صادقاً ، وبعضه كاذباً ، وبعضه إنذاراً ، وبعضه أحلاماً ، وبعضه أضغاثاً ، ولكن بقاية الايجاز ؛ لانّا لو شرحنا هذه المواضيع لاحتجنا الى تصنيف عدة كتب تُقرَرُ فيها الاصول ، وتلخص بعدها الحروف ، ولكن سبق بفيح هذا . وسرعة فَهمِك ـ أمتع الله بك ـ وقبولك لما يُشار به ـ يقضي ما رأيناه ، ووأيناه .

(٤)

ابن العـــربي

اعلم أيدنا الله واياك ان ابراهيم الخليل عليه السلام قال لابنه : (اني أرى في المنام اني اذبحك) والمنام حضرة الخيال فلم يعبرها . وكان كبش ظهر في صورة ابن ابراهيم في المنام فصدّق ابراهيم الرؤيا ، ففداه ربه من وهم ابراهيم بالذبح العظيم الذي هو تعبير رؤياه عند الله تعالى وهو لا يشعر . فالتجلي الصوري في حضرة الخيال محتاج الى علم آخر يدرك به ما أراد الله تعالى بتلك الصورة . ألا ترى كيف قال رسول الله ﷺ لابي بكر في تعبير الرؤيا : (اصبت بعضاً واخطات بعضاً) فساله ابو بكر ان يعرّفه ما أصاب فيه وما اخطا فلم يفعل .

وقال الله تعالى لابراهيم عليه السلام حين ناداه : ﴿ ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ وما قال له صَدقتَ في الرؤيا انه ابنك : لأنه ما عبرها ، بل أخذ بظاهر ما رأى ، والرؤيا تطلب التعبير ولذلك قال العزيز : ﴿ ان كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ . ومعنى التعبير الجواز من صورة ما رآه الى أمر آخر . فكانت البقر سنين في المَحْل والخصب . فلو صدّق في الرؤيا لذبح ابنه ، وانما صدّق الرؤيا في ان ذلك عين ولده ، وما كان عند الله إلا الذبح العظيم في صورة ولده ففداه لما وقع في ذهن ابراهيم عليه السلام : ما هو فداء في نفس الأمر عند الله . فصوّر الحس الذبح وصور الخيال ابن ابراهيم عليه السلام . فلو رأى الكبش في الخيال لعبرة بابنه أو بامر آخر . ثم قال (ان هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار المبين أي الظاهر يعني الاختبار في العلم : هل يعلم ما يقتضيه موطن الرؤيا من التعبير أم لا ؟ لانه يعلم ان موطن الخيال يطلب التعبير : ففعل فما وفّى الموطن حقه ، وصدّق الرؤيا لهذا السبب كما فعل تقي بن مخلد الامام صاحب المسند ، سمع في الخبر الذي ثبت عنده انه عليه السلام قال : (من رآني في النوم فقد رآني في اليقظة فان الشيطان لا يتمثل على صورتي) فرآه تقي بن مخلد وسقاه النبي ﷺ في هذه الرؤيا لبنا فصدّق تقي بن مخلد رؤياه فاستقاء فقاء لبنا . ولو عبّر رؤياه لكان ذلك اللبن علماً . فحرمه الله علماً كثيراً على قدر ما شرب . ألا ترى رسول الله ﷺ أُتيَ في المنام بقدح لبن قال : (فشربته حتى خرج الرّي من أظافري ثم اعطيت فضلي عمر) . قيل ما أوّلته يا رسول الله ؟ قال العلم ، وما تركه لبنا على صورة ما رآه لعلمه بموطن الرؤيا وما تقتضيه من التعبير . وقد عُلِمَ ان صورة النبي ﷺ التي شاهدها الحس انها في المدينة مدفونة ، وان صورة روحه ولطيفته ما شاهدها أحدٌ من أحدٍ ولا من نفسه . كل روح بهذه المثابة . فتتجسد له روح النبي في المنام بصورة جسده كما مات عليه لا يخرم منه شيء . فهو محمد ﷺ المرئي من حيث روحه في صورة جسدية تشبه المدفونة لا يمكن الشيطان أن يتصور بصورة جسده ﷺ عصمة من الله في حق الرائي . ولهذا من رآه بهذه الصورة يأخذ عنه جميع ما يأمره به أو ينهاه عنه أو يخبره كما كان يأخذ عنه في الحياة الدنيا من الاحكام على حسب ما يكون منه اللفظ الدال عليه من نص أو ظاهر أو مجمل أو ما كان . فان اعطاه شيئاً فان ذلك الشيء هو الذي يدخله التعبير ؛ فان خرج في الحس كما كان في الخيال فتلك رؤيا لا تعبير لها . وبهذا القدر وعليه اعتمد ابراهيم عليه السلام وتقي بن مخلد . ولما كان للرؤيا هذان الوجهان ، وعلمنا الله : فيما فعل بابراهيم وما قال له : الأدب لما يعطيه مقام النبوة ، علمنا في رؤيتنا الحق تعالى في صورة يردها الدليل العقلي أن تعبّر تلك الصورة بالحق المشروع إما في حق حال الرائي أو المكان الذي رآه فيه أو هما معاً . وان لم يردها الدليل العقلي أبقيناها على ما رأيناها كما نرى الحق في الآخرة سواء .

* * *

قال [الله تعالى في محكم كتابه حكاية عن] يوسف عليه السلام : « اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » فرأى اخوته في صورة الكواكب ورأى أباه وخالته في صورة الشمس والقمر . هذا من جهة يوسف ، ولو كان من جهة المرئي لكان ظهور اخوته في صورة الكواكب وظهور ابيه وخالته في صورة الشمس والقمر مراداً لهم . فلما لم يكن لهم علم بما رآه يوسف كان الادراك من يوسف في خزانة خياله ، وعَلِمَ ذلك يعقوب حيث قصها عليه فقال : « يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا » ثم برأ ابناءه عن ذلك الكيد وألحقه بالشيطان ، وليس إلا عين الكيد ، فقال : « ان الشيطان للانسان عدو مبين » أي ظاهر العداوة . ثم قال يوسف بعد ذلك في آخر الأمر : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » بمنزلة من رأى في نومه انه قد استيقظ يقول رأيت كذا ورأيت كإني استيقظت وأولتها بكذا . هذا مثل ذلك . فانظر كم بين ادراك محمد ﷺ وبين ادراك يوسف عليه السلام في آخر أمره حين قال : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » معناه حساً أي محسوساً ، وما كان إلا محسوساً ، فإن الخيال لا يعطي أبداً إلا المحسوسات ، غير ذلك ليس له .

(٥)

التيفاشـــي

رؤيا النهار والليل

قال حكماء اليونان : رؤيا النهار في النوم خير من رؤيا الليل ، لأن النهار وقت المعاش والليل وقت البطالة والعطلة ، إلا لمن يكون الليل أوفق له وأليق بحاله ، مثل الهارب والآبق والمستتر المتواري ومن أشبههم ، فان رؤيا الليل اوفق له من رؤيا النهار .

رؤيا الشمس والقمر والسماء والكواكب

الشمس : تدل على السلطان وعلى جميع الحيوانات ، لان قواها بها ، فمن رأى الشمس على أحوالها الطبيعية من الضياء والنور والسير وجهات الطلوع والغروب دل على انتظام اموره وصلاح معاشه ، بواسطة سعادة السلطان ومن كان في غمّ أو حيرة ورأى ان الشمس طالعة والعالم مضيئ بنورها زال عنه الغم والتحير ، وكذلك اذا رآها من يرجو شيئاً نال ما يرجوه ويؤمله .

وحكي ان رجُلًا رأى أنه ينظر في الشمس فيرى صورته فيها ، فرزق ابناً صار ملكاً عظيماً .

وكما ان طلوع الشمس جيد فغروبها رديء لانه يدل على الياس والتحير . وكان رجل أرمد العين ، فرأى في النوم ان الشمس غابت ، فعمي بصره ، لان الشمس في العالم بمنزلة العين في الجسد . وطلوع الشمس من جهة اخرى غير مشرقها رديء مذموم ، وكذلك من رأى الشمس على لون غير لونها من السواد والحمرة والعتمة والظلمة دلّ على الفساد والشر ، ومن رأى انها أظلمت بحيث لا تضيء البتة أو غابت كان رديئاً . إلا ان كان هارباً أو عازماً على عمل شيء في الخفية : وكثرة الشموس في النوم رديء لان كثرة الرؤساء تفسد النظام .

القمر : يدل على امرأة عظيمة القدر ، كما ان الشمس تدل على صاحب البيت فكذلك القمر يدل على سيدة البيت ، ويدل على السفر لسرعة سيره .

ورأى رجل القمر فقال للمعبر : رأيت كأني قريب من القمر وكلمته. فقال له المعبر : تسافر في البحر ، فكان كما قال . ثم بعد سنة رأى هذا الرجل بعينه هذا المنام بعينه ، فرجع الى ذلك الموضع فسال المعبر عن المنام فقال : تبتلى بحمى الدق ، فقال صاحب المنام : سألتك عن تفسير هذا المنام قبل هذه السنة فقلت : تسافر في البحر فسافرت ، والآن تعبره على حمى الدق ، والمنام واحد ، فما الفرق ؟ فقال له المعبر : المنام الاول رأيته لخمس ليال خلون من الشهر والقمر على شكل السفينة ، فلما قربت منه دلّ على ركوب السفينة ، والآن رأيت الهلال وقد بقي من الشهر ليلة واحدة ، وهو في غاية الدقة والهزال ، فيدل على انك تصير مثله في الدقة ، وانما يكون ذلك بحمى الدق ، فكان كما قال ، وكل ما تدل عليه الشمس يدل عليه القمر أيضاً إلا ان ما يدلّ عليه القمر أقل وأنقص مما تدل عليه الشمس ، ويكون ذلك الأمر الذي دلّ عليه القمر من جهة النساء .

رؤيا الكواكب : قال اليونانيون : رؤيا الكواكب لمن ينوي السفر جيدة ، ولمن يعمل عملًا في الخفية ، لان الكواكب انما تظهر بعد غيبة الشمس ، ولا تضيء اضاءة كثيرة ، وان السماء مثال البيت ، فمن رأى انه سقط عليه من السماء كوكب ، سقط من أهل بيته أحد على حسب قدر الكوكب الذي رأى في المنام .

وحكي ان رجلًا رأى في المنام انه ياكل النجوم ، فاتفق ان صار منجماً ، وكان يتعيش بصناعة النجوم .

ورأى رجل انه ظهر في السماء شهب وكواكب كثيرة ، فقال له المعبّر : هذا يدلُّ على ان السنة حارة يابسة لان هذه الآثار انما تتولد من مثل هذه السنة ، وقد جُرّب ذلك فكان كما قال .

آراء العرب في ذلك : قالت العرب : الشمس تدل على السلطان الاعظم ، فمن رأى انه قرب الشمس أو أخذ منها شعاعاً ونوراً دلّ على قربه من السلطان ، ونال منه مرتبة علية ودرجة رفيعة .

القمر : يدل على وزير السلطان ، والهلال على ولد مبارك ، أو ولاية جليلة أو ربح في تجارة . وقال جاماسف : ينصر على عدوه ويظفر به .

الزهرة : تدل على زوجة الملك ، وعطارد يدل على كاتبه ، والمريخ يدل على اسفهسلاره ، والمشتري يدل على خادمه ، وزحل يدل على صاحب النقمة والعذاب ، وكبار الكواكب تدل على الرؤساء ، وصغارها تدل على العوام .

والقمر اذا رؤي على الأرض دلّ على الزوجة ، واذا رؤي في السماء دلّ على الوزير ، ومن رأى القمر في بيته تزوج بامرأة كبيرة القدر .

وكثيراً ما تدل الشمس على الأب ، والقمر على الام ، والكواكب على الاخوة خصوصاً اذا كانوا تحت حكم الوالدين ، مثل منام

يوسف عليه السلام ، فان الشمس كانت أباه ، والقمر امه ، والكواكب اخوته الذين سجدوا له .

قال المصنف : ومن المجرّب ان من رأى انه ينظر الى السماء والكواكب ، والهواء صافٍ والكواكب نيرة والسماء بادية ، فانه ان كان في كرب وغم فرج عنه كربه وغمه ، ونال مسرة وانشراح صدر ، وقد جرب ذلك مراراً .

رؤيا السماء : من رأى انه صعد [الى] السماء وهو ينظر الى الارض فانه ينال رفعةً . فان رأى انه دخل في السماء وغاب فيها فانه يموت ويرجع الى الاخرة ، ومن رأى كان سهيلًا طلع عليه دل على ادباره وخراب بيته ، لانه لا يطلع في البلدان العامرة بل في البراري ، ومن طلعت عليه الزهرة نال الإقبال الى آخر عمره . ومن طلع عليه المشتري ناله ملك ورفعة الى آخر عمره ، ومن رأى الفلك كانه يدور تحول من حال الى حال أو من دار الى دار أو من بلد الى بلد . وقال ارطاميدورس : من رأى الكواكب تحت السقف دلّ على خراب بيت صاحبها حين تكون الكواكب تدخل بيته ، ويدل على موت رب البيت ؛ ودليل المنازل والكواكب نوات الاذناب [في الرؤيا] مثل الذي تفعله اذا ظهرت في اليقظة . وطلوع الفجر لمن رآه نور وهداية كما ان الليل لمن رآه ضلال وغمة ، وكل ما رؤي في الشمس والقمر من حدوث كسف أو خسف فهي حوادث رديئة تحدث بالملك أو وزيره ، وباقي الكواكب على التفسير المتقدم في حوادثها تدل على الحوادث فيمن عرفت به ، ومن رأى الشمس استترت بالسحاب فان الملك يعرض له مرض يسير ويبرأ منه ، وكذلك في القمر وبقية الدراري السبعة ، كل درّي منها يدل على من هو منسوب اليه في التعبير المتقدم ، والله أعلم .

* * *

قال الحكماء : اذا رأى الانسان [النار] في موضعها بمقدار معتدل ، والزمان شات ، دل على الخير والصلاح ، فاما اذا لم تكن في موضعها أو كانت كبيرة مجاوزة الاعتدال في الكثرة . أو كان الصيف . فانها تدل على الشر والحرب والمرض والندامة . ومن رأى انه قاعد في ضوء السراج بالليل دل على السرور ومواتاة الامور . فان كان خائفاً أو هارباً أو متوارياً أو عازماً على عمل في خفية دل على الفضيحة . لان كل ما يكون في ضوء السراج يكون ظاهراً . واطفاء السراج في المنام دليل رديء مذموم . فان كان صاحب المنام مريضاً دل على الموت .

قال الشيخ شرف الدين المصنّف : وجرى لي في المنام أمر عجيب في السراج ، وذلك اني رأيت كاني جالس وبين يديّ ثلاثة سروج موقدة . والى جانبي زوجتي ام بني . وهي تنفخ الى أحد السرج لتطفئه . فادركني عليها غيظ شديد ، ونهيتها عن ذلك ، فالحّت في النفخ عليه . فاضطربت من الغيظ وقلت لها : ان طفيتيه فانت طالق . فقامت فنفخت في السرج الثلاثة فأطفأتها . وباتت بالطلاق ولم أكن قبل ذلك جرى على لساني للطلاق ذكر . ولا حدّثت نفسي بطلاقها قط . ولا حدّثت نفسها في خلاف أمر آمرها به قط ، وكان لي منها ثلاث بنين . فاتفق بعد هذه الرؤيا بأيام قلائل ان مرضت فماتت ، وركبت أنا وأولادي الثلاثة البحر ومال طائل ، فعطبت السفينة وغرق البنون الثلاثة والمال جميعه ، ونجوت على لوح مسلوباً من الاهل والمال .

والعرب تقول : من رأى ان بيته احترق انفسد حاله ، والنار اذا كان لها شرر ولهيب مضطرب دلت على القتال وان لم يكن معها شرر واضطراب دلت على المرض والخصومة ، وان كان معها دخان انضاف الى هذه الامور هموم وغموم . ومن رأى انه أوقد ناراً ليستضيء بها فُتح له فيما يقصده ويطلبه . وان أوقدها ليتدفأ بها في وقت الدفء نال منفعة من الامر الذي يقصده .

ورأى رجل في المنام ان يمينه صارت سراجاً وهو يسير في ضوئها ، فاتفق ان عميَ بصره ، وكان أخوه يقوده في الطريق . ومن رأى نوراً عظيماً على جبل أو في مفازة ليستضيء به الناس امور معاشهم ظهر للناس امام أو سلطان عادل مرضي السيرة .

والهواء الصافي المضيء يدل على الخير والصلاح لكل أمر رآه ، خصوصاً ان كان في قلبه هم أوضاع منه شيء فسار في طلبه أو سافر . قال المصنف : وقد جربته ، والهواء الكدر المظلم يدل على العطلة والبطالة والغموم لكل أمر رآه . والسحاب يدل على الخير والصلاح ، لا سيما ان كان محتاجاً الى مطر ، فاما من أراد أن يسافر ويعمل عملًا يكون الصحو أوفق له من المطر ، وكان [السحاب] رديئاً له . وأما السيول العظيمة والرياح العاصفة واضطراب الهواء فيدل على الحرب والخوف لكل من رآه .

والحر الشديد والبرد الشديد يدل على التعب والبطالة ، لان الانسان يبطل الاعمال في مثل هذه الاحوال ، وان اشتغل بالعمل اصابه تعب .

والرعد والبرق اذا لم يكن معهما مطر يدلان على المواعيد الكاذبة والآمال الخائبة ، وان كان الرعد والبرق شديداً دلّ على الخوف والفتنة وقتال الاعداء .

والغيوم البيض المرتفعة خير من الغيوم السوداء المظلمة ، لأن الغيوم المظلمة تدل على الحزن ، والغيوم المتحركة خير من الغيوم الساكنة الواقفة ، واذا رأى الغيوم صاعدة من أسفل الى فوق كان خيراً له من أن يراها نازلة من فوق الى أسفل ، لان هذا خارج عن الطبع ، واذا رئيت السحاب متحيرة ضيق على الرائي القتل ، أو صفراء خيف عليه المرض ، أو خضراء فهو أمان من جور السلطان ، وقالت النصارى : تدل [على] زواج المرأة .

وان رأى قوس قزح بسعة فهو دليل خير ، وان رآه يسرةً فهو دليل رديء .

والثلج والبرد العام مكروه من السلطان للناس والخاصّ خاص لرائيه ، وان كان معه برَد فهو فقر وضر وفاقة . والريح الطيبة الهادئة السهلة الهبوب تدل على الخير والراحة والرخص ، خصوصاً اذا استطابها الرائي واستلذّها . والرياح الشديدة العاصفة تدل على الحزن والشدائد ، خصوصاً اذا تأذى بها ، والهواء المظلم الكدر يدل على الشر لكل من يراه .

وقالت العرب : الغيم يدل على العلم ، والطل يدل على الخراب ، والرعد والبرق يدلان على الخوف ، والريح العاصف تدل على الخوف والسهول المضرة تدل على الفتن والمحن والحوبج وأنواع البلايا ، والثلوج تدل على المنافع في المواضع التي ينتفع بها بالثلوج ، وعلى المضرة في المواضع التي يتضرر بها فيها .

واما المطر ففيه خلاف ، قالت الفلاسفة : كل ما ينزل من السماء مما عاقبته محمودة ، فانه يدل على الخير والصلاح ، فان رأى المطر عاماً فهو خير عام ، وان رآه خاصاً فهو خير خاص في أي وقت رآه . وقالت العرب : رؤيا المطر تختلف بحسب اختلاف الاوقات التي يُرى فيها ، فان رآه في الوقت الذي أشبهه من وقتي الربيع والخريف الذي يتفق نزول المطر فهو خير . ان كان خاصاً فخاصّ ، وان كان عاماً فعام ؛ وان رآه في الوقت الذي الاوان الذي يبعد عهد المطر في مثله ، فهو طاعون أو حصبة أو جدري أو بعض بلايا الدنيا . ان كان عاماً فعام لاهل المدينة أو القرية أو الصقع ، وان كان خاصاً فخاص لمن يراه .

فاما الطين فلا خير فيه على الجميع ؛ قال المصنّف : وهو من مجرّباتي فاني رأيت شخصاً جالساً في الطين ، وهو يضع منه على رأسه يكاد يغمره ، فشاهدته بعد ذلك وقد مات غريقاً في البحر ، اللهم إلا أن يكون الرائي من قوة النفس وصفائها بحيث لا تحتاج رؤياه الى مثال ، بل تخرج من ظاهرها فيرى الطين في اليقظة كما يراه في المنام . فان سيدنا رسول الله ﷺ رأى كأنه يسجد في ماء وطين . فخرج الى صلاة الغداة وعلى جبهته وانفه أثر الماء والطين وقد مُطروا ووكف سقف المسجد ، فسجد في ماء وطين ، ﷺ .

(٦)

صلاح الدين الصفدي

سئل بعض العلماء عن رآني في منامه فقد رآني حقاً ، فقال السائل في الليلة الواحدة بل الساعة الواحدة يراه جماعة في اماكن شتى [illegible] فقال نعم هو :

كالشمس في [illegible] ماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

وقد تكلم الفقهاء [illegible]) في المنام ، وأمره بأمر هل يلزمه العمل به أو لا ، قالوا ان أمره بأمر يوافق أمره يقظةً ففيه خلاف ، وان أمره [illegible] ، وقالوا ان من رآه (ﷺ) على الوجه المنقول عن صفته ، فرؤياه حق فهذا من قبيل تعارض الدليل والعمل [illegible] أرجح فلا يلزمه العمل بامره فيما يخالف أمره يقظة . ا هـ . قلت القوة المخيّلة لا يختص عملها بالم [illegible] النوم لان ، لانها لا تحتاج الى تحريك اعضاء البدن وانما تستعمل عين الروح النفساني المتكوّن في [illegible] بالحلل والاستعمال ، فلهذا القوة المخيّلة قادرة على أفعالها في جميع الاحوال إلا انها لا تتصوّر باختيار [illegible] ، وانما في اليقظة كانت القوة الارادية تصرفها على حسب اختيارها . فاذا اتى النوم أتى أمر آخر فاضطرها الى أحد الامرين [illegible] على من أحد امور اربعة : الأول : ارتسام صور المحسوسات التي أدركتها الحواس في ذلك اليوم في الخيال ، فاذا [illegible] الانسان تصرفت القوة المخيلة في رسوم الصور لقرب عهدها بها ، ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال وعكسه اتصال الخيال [illegible] وكمن يرى انه يأكل شيئاً في النوم فيستيقظ وطعمه في فمه .

والثاني : أن [illegible] أثر أو ملاقاة صديق أو رجاء أو خوف واستخدام الخيال في إحضارها صورها ويقبت تلك الصور [illegible] عنده فيها وفي معانيها ويسمى حديث النفس ، وعدّه بعضهم ضرباً من الوسواس .

والثالث : أن يتغير [illegible] محل القوة فتختلف أفعالها بحسب تغيّره ، فان غلب على مزاجها الحرارة رأت

الحمام والشمس والنيران وما أشبه ذلك ، وهي طبيعة الصفراء . وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما أشبه ذلك ، وهي طبيعة البلغم . وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهي والحجامة والفصد وما أشبه ذلك . وان غلب على مزاجها البرودة اليابسة رأت المخاوف والظلمات والسواد وما أشبه ذلك .

وعلى الجملة : فإذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المضطربة بغير نظام لأن المزاج لا يثبت على حالة واحدة ، وهذه هي أضغاث الاحلام . فما تعلّق من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير وقلّ أن تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة في اليقظة كثيراً لما يحاولونه من معاني التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك .

والرابع : ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيّلة حال النوم بمثال تدركه النفس . وعلم تعبير الرؤيا هو معرفة تطبيق ذلك المثل على ما قصد به وربما ألقاه صريحاً بغير مثال فيستغني عن التاويل ويسمى رؤية المثل بالمثل . (فمن ذلك) : المرائي التي ذكرها جالينوس في كتاب حيلة البرء ، ومنامات الشيخ محيي الدين بن عربي قدّس سره ، والتي ذكرها ضمن كتابه المسمى بالفتوحات المكية ، وناهيك به من كتاب .وما أحسن قول القائل :

لـــه أمـــرٌ بالرشـــدِ فـــي يقظـــاته ... وفـــي النـــوم يهـــديه لخـــير الطـــرائقِ
فـــان قـــام لـــم يـــدأب بغـــير فضـــيلة ... وان نـــام لـــم يحـــلم بغـــير الحقـــائقِ

وما أليق هذا بجناب النبي (ﷺ) ، فانه كان في مبدأ الامر قبل النبوة لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . واعلم ان القوة المخيلة لا تستقل بنفسها في رؤية المنام بل تفتقر الى قوة الروية المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية . فمن رأى كان أسداً تخطى اليه وتمطى ليفترسه ، فالقوة المفكرة تدرك ماهية سبع ضار ، والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه ، والحافظة تدرك حركاته وحياته ، والمخيلة هي التي ارتسم فيها ذلك جميعه وتخيلته . واعلم ان المنامات التي تحتاج الى التعبير هي الرؤيا التي تكون من الله تعالى اما بشارة أو نذارة لطفاً من الله تعالى لينبه الانسان على ما يحدث له في المستقبل . ولهذا ورد عن النبي (ﷺ) انه قال : لم يبق من الوحي إلا الرؤيا الصادقة . وقال (ﷺ) : الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوّة ، وفسر ذلك القاضي عياض بان قال ما معناه : ان مدة ما كان النبي (ﷺ) يتعبد بغار حراء قبل النبوة تكون قدر جزء من ستة واربعين جزءاً من مدة النبوّة وهي احدى وعشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة . قلت : قالوا أصح الاقوال انه عاش (ﷺ) ثلاثاً وستين سنة وانه نبيء على رأس الاربعين سنة ، فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة ، وثبت انه كان يوحى اليه مناماً قبل البعثة بستة أشهر وهي نصف السنة ، فاذا نسبنا ستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزءاً من ستة واربعين ، وهو كما جاء في أشهر الاقوال . واعلم ان السبب في تاخير تحقيق المنامات السارّة ، وسرعة تحقيق المنامات الضارّة ، هو ان القوة الإلهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارة بالخيرات الكائنة قبل أوانها بمدة طويلة ، لتكون من الفرح والسرور أطول . فتكون النفس منبسطة بالبشارة ، مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها ، وفي الجهة الاخرى تظهر الانذار بالشرور الكائنة في زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهمّ والغمّ ، وكثيراً ما لا يشعر بالهمّ ولا ينذر به اذا لم يكن للانسان منبّه إشفاقاً عليه لئلا ينضاف الى ذلك الشر الهمّ الحاصل من الشعور بحصوله ، وليس حصول الشر سريعاً ، وحصول الخير بطيئاً من القواعد المطردة . قيل لجعفر الصادق رضي الله عنه : كم تتاخر الرؤيا ؟ فقال : رأى النبي (ﷺ) كلباً أبقع يلغ في دمه ، فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص ، وكان تاخير الرؤيا خمسين سنة . وقال بعضهم : تتاخر الرؤيا الى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تاويل رؤياه بعد عشرين سنة .

قال الرئيس ابو علي بن سينا في الشفاء في كتاب الحيوان : والصبي لا يحلم حلماً يعتدّ به الى اربع سنين ومن الناس من لم يحلم الى أن يسن ومنهم من لم يحلم البتة . ثم قال في اثناء الكتاب : ويضحك الصبي بعد أربعين يوماً ، وذلك أول ما تفعل النفس الناطقة في بدنه ، ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لانه في مثل ذلك الوقت بالتقريب تختلف عنده المحسوسات ، ويميّز بينها وترتسم في خياله . وقال أيضاً : كل حيوان دموي مشاء فانه ينام ويستيقظ ، وكل ذي جفن فانه يطبقه عند النوم ، وقد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع ، يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها . أ هـ .

(٧)

ابن خـــلدون

في الصحيح ان النبي ﷺ قال الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلي من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك واضغاث الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة

الرؤيا وما يسببها ويشيعها من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها أحد منهم بل كل واحد من الانساني رأى في نومه ما صدر به في يقظته مراراً غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق بمنه وفضله .

فصل . ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس متشوقة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللمحة في النوم لانها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع في كتابه الغاية وغيره من كتب أهل الرياضيات ذكر اسماء تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يتشوق اليه ويسمونها الحالومية وذكر منها مسلمة في كتاب حالومة سماها حالومة الطبّاع التام وهو أن يقال عند النوم بعد فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهي تماغس أن يسواد وغداس نوفنا غادس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم .

وحكي ان رجلًا فعل ذلك بعد رياضة ليال في ماكله وذكره فتمثل له شخص يقول انا طباعك التام فسأله واخبره عما كان يتشه اليه وقد وقع لي أنا بهذه الاسماء مراءٍ عجيبة واطلعت بها على امور كنت أتشوّف عليها من أحوالي وليس ذلك بدليل على ان القصد للرؤيا يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوي الاستعداد كان أقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص أن يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلًا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من أمثاله والله الحكيم الخبير .

* * *

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف وربما كان في الملوك والامم من قبل إلا انه لم يصل الينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الاسلام وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها فلقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ وعن ابي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك الغيب وقال ﷺ الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وقال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له وأول ما بدأ به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . وكان النبي ﷺ اذا انفتل من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليستبشر بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين واعزازه واما السبب في كون الرؤيا مدركاً للغيب فهو ان الروح القلبيّ وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن ما يغشاه من برد الليل انحبس الروح من سائر أقطار البدن الى مركزه القلبي فيستحم بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب ثم ان هذا الروح القلبيّ هو مطية للروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته إذ حقيقته وذاته عين الادراك وانما يمنع من تعلقه للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقته وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من ادراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللائقة من عالمه واذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه إذ هو ما دام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية فالمدارك الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها الى الحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صوراً اخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك اذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه القته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النائم وكانه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال ايضاً واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة واضغاث الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم ولكن اذا كانت تلك الصور متنزلة من الروح العقلي المدرك فهي رؤيا وان كانت ماخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي اضغاث أحلام . وأما معنى التعبير فاعلم ان

الروح العقلي اذا أدرك مدركه وألقاه الى الخيال فصوره فانما يصوره في الصور المناسبة [illegible] الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم فيصوره الخيال بصورة البحر أو يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة [illegible] فاذا [illegible] وهو لم يعلم من امره إلا انه رأى البحر أو الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد أن يتيقن ان البحر صورة محسوسة وان المدرك وراءها يهتدي بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنساء لانهن أوعية وأمثال ذلك ومن المرئي ما يكون صريحاً لا يفتقر الى تعبير لجلائها ووضوحها أو لقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان والرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر الى التأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ان الخيال اذا القي اليه الروح مدركه فانما يصوره في القوالب المعتادة للحس وما لم يكن الحس أدركه قط فلا يصوره فيه فلا يمكن من ولد أعمى أن يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاواني لانه لم يدرك شيئاً من هذه وانما يصور له الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات [illegible] من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يبنى عليها المعبر عبارة ما ينص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو اليق بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقلاً بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد وألف الكرماني فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتاخرون واكثروا والمتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارة للسالمي وهو علم مضيء بنور النبوة للمناسبة التي بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب .

(٨)
ابن شاهين الظاهري

فصل في ايضاح ادلة تدل على ان علم الرؤيا له أصل في الشريعة منها قوله تعالى ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث ﴾ قال الواحدي هو تأويل الرؤيا وقوله تعالى ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ قال بعض المفسرين يعني الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة قال الشهرزوري في شرحه للاربعين [illegible] وكذا زين العرب في شرحه للمصابيح ان مدة ابتداء وحي الرسول عليه السلام الى مفارقته الدنيا كانت ثلاثاً وعشرين سنة وكانت ستة أشهر منها في أول الأمر يوحي اليه مناماً وهي نصف سنة فهي جزء من ستة واربعين جزءاً من جملة أيام الوحي لانه [illegible] ستين سنة على أكثر الروايات واوحي اليه بعد اربعين سنة ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « من لم يؤمن بالرؤيا الصالحة لم يؤمن بالله واليوم الآخر » ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « لم يبق من النبوة إلا المبشرات قال الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « أصدقكم حديثاً أصدقكم رؤيا واذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن » ولا ينبغي لاحد أن يكذب في رؤياه ويزعم انه رأى غير ما رأى فان الرؤيا وحي يوحيه الله له في المنام ومنها قوله عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري « ان من أفرى الفرى أن يدعي الرجل في المنام بحلم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين ولم يفعل » ومعنى الحلم هو معنى الرؤيا لكن غلب استعمال الرؤيا في الرؤية والحلم في المكروهة وقال عمر رضي الله عنه : الا اخبركم ان الانسان اذا نام عرج بروحه الى السماء فما رأى قبل ان يصل الى السماء فذلك حلم وما رأى بعد أن يصل الى السماء فذلك الذي يكون ، وفي قول ابن سيرين بيان ان ليس كل ما يراه الانسان يكون صحيحاً ويجوز تعبيره انما الصحيح منه ما كان من الله تعالى يأتيك به ملك الرؤيا وهو روحانيل من نسخة ام الكتاب يعني من اللوح المحفوظ وما سوى ذلك اضغاث احلام لا تاويل لها .

[فصل : في بيان معرفة الرؤيا ومجاريها وقوتها وضعفها] وبينت ما كان مستقيماً واضحاً وألغيت ما كان اضغاثاً مختلطاً وتاملت ذلك بتوفيق الله . واعلم ان أصدق الرؤيا اذا تمت على جنبك الايمن لقول ابن سيرين من نام على جنبه الايمن فرأى رؤيا فهي من الله تعالى ومن نام على جنبه الايسر أو على ظهره ورأى رؤيا فانها من قبل الارواح وربما يصح بعض ذلك وما كان منها في منامه على بطنه

فهو أضغاث أحلام فاصدق ما تكون الرؤيا في الربيع والصيف لما تقدم من الحديث الشريف . وقد ذهب بعضهم بأن تفسير ذلك على هذا الوجه وأضعف ما تكون في الخريف والشتاء وقد قال ابن سيرين وغيره أقوى ما تكون الرؤيا عند ادراك الثمار واجتماع أمرها وأضعف ما تكون عند سقوط ورقها وذهاب ثمرها وقيل ان الله تعالى وكل على كل بذر وشجر ملكاً لحفظهما من الجن لئلا يفسدوهما فاذا انقضى اوانهما وارتفعت الملائكة الموكلون بهما بعدت النفوس وتغيرت الامزجة فتظهر الاحلام السوء والاضغاث . [فصل] واقرب ما تخرج الرؤيا أي تظهر الرؤيا اذا رؤيت آخر الليل فانه ينتظر بها ، وروي ابن سيرين قال من رأى رؤيا أول الليل فانه ينتظر بها الى عشرين سنة فما دون ذلك ويقاس على الليل وعلى السنين ويعرف ما مضى من الليل وينقص من السنين بقدره ، مثاله اذا مضى من الليل نصفه ينتظر الرؤيا الى عشر سنين فما دون ذلك ويقاس على ذلك ومن رأى رؤيا بعد الصبح فانه ينتظر لها مدة شهرين وما دون ذلك وكذلك رؤيا النهار وقد ظهرت رؤية يوسف عليه السلام بعد عشرين سنة فلاجل ذلك حد آخر انتظار الرؤيا عشرين سنة وقال الكرماني أصبح ما تكون الرؤيا عند استغراق النوم لقول علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ما زال الانسان يرى الشيء فيكون ويرى الشيء فلا يكون والجواب عن ذلك تقدم في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

[فصل] وقد يبطل تاويل الرؤيا اذا كان الانسان قد عمل فيما يراه في منامه وشغل به في اليقظة سره وفي الحديث عن النبي ﷺ « ان الرؤيا ثلاثة فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى والرؤيا من تخويف الشيطان والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه » وقال بعض المعبرين الرؤيا الصالحة على قسمين قسم بشرى وقسم تحذير وقد تخرج الرؤيا على مآرب كثيرة وقد رأى كسرى في المنام زوال ملكه وظهور محمد ﷺ وكان كذلك ، وقد رأى النمرود حين رمى الخليل ابراهيم عليه السلام بمنجنيق ان الخليل في روضة خضراء وفيها عين جارية وكان كذلك ورأى فرعون انه دخل البحر وجنوده ففرقوا فكان الأمر كذلك وان لم تخرج الرؤيا لصاحبها خرجت لبنيه أو لنظيره أو لاحد من عشيرته وقد رأى النبي ﷺ في منامه ان ابن أبي العيص في الجنة بعد موته وكان مشركاً فاولها ﷺ عتاب بن أسيد لانه كان نظيره وان عبرت الرؤيا في المنام فانها تخرج على نحو ما عبرت به اذا كان المعبر ممن يركن اليه وسيمته الخير وان رأى الانسان رؤيا مما تدل على خير أو غيره ثم انتظرها فرآها على صفة ما رأى أولاً فتكون قد عبرت ولا يكون ذلك تكراراً عند بعض المعبرين وليست الرؤيا تبطل بتاويل ما أول بما يخالف التعبير إذ لو كان كذلك لبطلت رؤيا عزيز مصر لقول المعبرين أضغاث احلام وان الشيطان يتمثل في الرؤيا بكل شيء إلا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وفي الحديث « إذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به الناس » وفي الحديث « المنام على رجل طائر إذا قص وقع » وأول بعضهم قص الرجل بالوقوع وفي حديث آخر ما يدل معناه ان الانسان اذا رأى في منامه ما يكره فلا يحدث به أحداً وأن يبصق عن يساره ويتعوذ من الشيطان الرجيم فانه لا يضره ان شاء الله تعالى . وينبغي أن يكون المعبر ذا حذاقة وفطنة صدوقاً في كلامه حسناً في أفعاله مشتهراً بالديانة والصيانة بحيث لا ينكر عليه فيما يعبره لشهرة صدقه ولذلك سمى الله يوسف بالصديق وأن يكون عارفاً بالاصول في علم التعبير وأن يميز رؤية كل أحد بحسب حاله وما يليق به وما يناسبه ولا يساوي الناس فيما يرونه ويعتبر في تعبيره على ما يظهر له من آيات القرآن وتفسيره ومن حديث رسول الله ﷺ وما ينقله المتقدمون في كتبهم وقد يقع نوادر ويعتمد على تعبيرها من الالفاظ الجليلة الظاهرة بين الناس وما نقل عن الادباء في أشعارهم وغير ذلك من أشياء تناسب في المعنى كما سنذكر ان شاء الله تعالى بعض ذلك في باب النوادر ولو اعتمد المعبرون على ما ضبط في الكتب خاصة لعجزوا عن اشياء كثيرة لم تذكر في الكتب لان علم التعبير واختلاف رؤيا الناس كبحر ليس له شاطيء وقد وضعت هذا الكتاب ملخصاً وبوبته ثمانين باباً وجعلت لكل باب ما يناسبه من معانيه واسال الله العصمة من الخطأ والنسيان فانه حسبي ونعم الوكيل .

(٩)

التهـــانوي

(الرؤيا) بالضم وسكون الهمزة بمعنى (الحلم) وكل ما يرى في المنام ، كما في المنتخب ، ويقول في مجمع السلوك الفرق بين الحلم والواقع على وجهين : الأول عن طريق الصورة والثاني عن طريق المعنى . فالواقع عن طريق الصورة هو ان يراه الانسان بين الحلم واليقظة أو أن يكون كله في اليقظة .

والواقع عن طريق المعنى هو ان يجيء بعيداً عن حجاب الخيال ويكون غنياً صرفاً كالروح في مقام التجرد الذي تكون فيه مجردة عن الاوصاف البشرية وتصير مدركة ويكون هذا الواقع روحانياً مطلقاً ، وأحياناً يصير نظر الروح مؤيداً بالنور الإلهي ويكون ذلك الواقع ربانياً صرفاً . لان المؤمن ينظر بنور الله . أما الحلم فيكون باختفاء عمل الحواس نهائياً وغلبة الخيال على العمل ، ثم يجيء شيء في

نظر الخيال في اثناء تعطل الحواس ، ويكون على نوعين :

أحدهما : اضغاث أحلام ، وهو الحلم الذي تدركه النفس بواسطة الخيال والوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية التي تكون من إلقاء النفس والشيطان ، ويقوم الخيال بتنظيمها وترتيبها ، وهذه الاشياء لا تعبير لها .

والثاني : الحلم الحسن وهو الذي يسمونه الرؤيا الصالحة ، وهو جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة ، كما قال الرسول عليه السلام . وبيان ذلك هو ان مدة نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت ثلاثة وعشرين عاماً ، منها ستة أشهر كان الوحي فيها يجيء في صورة رؤيا ، وعلى هذا الاساس تكون الرؤيا الصالحة جزءاً من ستة واربعين جزءاً من النبوة والرؤيا الصالحة على ثلاثة أنواع :

الاول : لا يحتاج الى تاويل أو تعبير مثل رؤيا ابراهيم عليه السلام التي كانت صريحة « إني أرى في المنام أني اذبحك » .

والثاني : يكون بعضه محتاجاً الى تاويل ، أي يكون بعض ما رأى محتاجاً الى تاويل مثل رؤيا يوسف عليه السلام وهي : « اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » فأحد عشر كوكباً والشمس والقمر محتاجة الى تاويل ، أما السجود بعينه فهو ظاهر ، لا يحتاج الى تاويل « فخروا له سجداً » .

والثالث : يكون كله محتاجاً الى تاويل ، مثل رؤيا ملك مصر : ﴿ اني أرى سبع بقرات سمان ﴾ الآية .

وفي الحقيقة ان الرؤيا الصالحة مطلقاً ليست هي التي يكون تاويلها صحيحاً وأثرها ظاهراً ، لانها تكون للمؤمن والكافر على السواء ، بل ان الرؤيا الصالحة هي التي تكون مؤيدة بالنور الإلهي ، وهي لا تكون إلا للمؤمن أو الولي أو النبي وهي جزء من اجزاء النبوة .

واذا كان نظر النفس مؤيداً بتأييد نور الروح دون تأييد النور الإلهي فان الرؤيا لا تكون صالحة .

ويقول صاحب مرصاد العباد ان الرؤيا على نوعين : رؤيا صالحة ورؤيا صادقة .

فالرؤيا الصالحة هي التي يراها المؤمن أو الولي أو النبي وتكون صحيحة أو يكون تاويلها صحيحاً ، ويحدث كل ما قد رآه مرة ثانية ، ولكن هذا يكون عن طريق الرؤيا الحقة .

والرؤيا الصادقة هي التي تكون صحيحة دون تاويل أو يكون لها تاويل صحيح ، وتكون من رؤيا الروح ، وهذه تكون للكافر والمؤمن على السواء .

فاعلم ان الواقع كما تكون للمؤمن السالك تحصل أيضاً لبعض الفلاسفة والرهبان والبراهمة بفضل زيادة الرياضة وتصفية القلب حتى تظهر غلبة الروحانية والأنوار الروحانية على نظرهم ، ويحدث احياناً ان يخبروا عن الاخبار الدنيوية القادمة ، ويقفوا على بعض أحوال الخلق ، ولكن لا يكون لهم قربى وقبول لذلك ولا يصير سبب نجاتهم ، بل يكون داعياً للكفر والضلال ، وباعثاً على ابقاء الضلالة ، ويصير واسطة الاستدراج ، ولكن الوقائع تتحقق بظهورها للسالك الموحد .

واعلم ان الرؤية بالنسبة للرسول ﷺ وكذلك بالنسبة لجميع الرسل حق ورؤية الشمس والقمر والنجوم اللامعة في النوم حق ، ولا يستطيع الشيطان التمثل فيها وكذلك قالوا ان السحاب المحمل بالمطر تكون رؤيته في المنام حقاً ولا يستطيع الشيطان أن يتمثل فيه ، وكذلك رؤية الشيخ الذي يكون بالشريعة والطريقة والحقيقة ، أما الشيخ الذي لا يكون موصوفاً بذلك فان الشيطان يستطيع أن يتمثل فيه ، ولكن هناك اختلاف في كيفية رؤية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عليه السلام من رآني في المنام فقد رآني . قال القاضي الباقلاني معناه رؤياه عليه السلام صحيحة ليست باضغاث أحلام ولا من تشبيهات الشيطان ، فانه قد يراه الرائي على خلاف صفته المعروفة كمن يراه ابيض اللحية ، وقد يراه شخصان في زمان واحد أحدهما في المشرق والاخر في المغرب ويراه كل منهما في مكانه .

وقال آخرون بل الحديث على ظاهره ، وليس لمانع أن يمنعه فان الفعل لا يستحيله حتى يضطر الى التاويل .

فاما قوله فانه قد يرى على خلاف صفته أو في مكانين فانه تغير في صفاته لا في ذاته فتكون ذاته مرئية ، والرؤية أمر يخلقها الله تعالى في الحي لا بشرط ، لا بمواجهة ولا تحديق الابصار ولا كون المرئي ظاهراً ، بل الشرط كونه موجوداً فقط حتى جاز رؤية أعمى الصين بقّة أندلس ، ولم يقم دليل على فناء جسمه صلى الله عليه وآله وسلم بل جاء في الحديث ما يقتضي بقاءه ، وقال ابو حامد الغزالي ليس معناه « انه رأى جسمي وبدني » (بل) رأى مثالاً صار ذلك المثال آلة يتادى بها المعنى الذي في نفسي اليه ، فالحق ان ما يراه مثال حقيقة روحه المقدسة التي هي محل النبوة ، فما رآه في الشكل ليس روح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا شخصه بل

هو مثال له على التحقيق .

أقول فله ثلاثة توجيهات وخير الامور أوسطها قوله عليه السلام فان الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي أي لا يتمثل ولا يتصور بصورتي .

قال القاضي عياض : قال بعضهم خص الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن رؤيا الناس إياه صحيحة وكلّها صدق ، ومنع الشيطان أن يتمثل في خلقه لئلا يكذب على لسانه في النوم ، كما خرق الله تعالى العادة للانبياء بالمعجزة ، وكما استحال ان يتصور الشيطان في صورته في اليقظة .

قال محي السنة : رؤيا النبي ﷺ في المنام حق لا يتمثل الشيطان به ، وكذلك جميع الانبياء والملائكة عليهم السلام ، انتهى .

فإن قلت اذا قلنا انه رآه حقيقة فمن رآه في النوم هل يطلق عليه الصحابي أم لا .

قلت لا ، اذا لا يصدق عليه حدّ الصحابي ، وهو مسلم رأى النبي ﷺ ، إذ المقصود منه الرؤية المعهودة الجارية على العادة ، أو الرؤية في حياته في الدنيا ، لان النبي ﷺ هو المخبر عن الله تعالى ، وهو ما كان مخبراً للناس عنه الا في الدنيا لا في القبر ، ولذا يقال مدة نبوته ثلاث وعشرون سنة ، على انا لو التزمنا إطلاق لفظ الصحابي عليه لجاز وهذا أحسن وأولى . فان قلت الحديث المسموع عنه في المنام هل هو حجة يستدل بها أم لا .

قلت لا ، إذ يشترط في الاستدلال به أن يكون الراوي ضابطاً عند السماع والنوم ليس حال الضبط كما في شرح صحيح البخاري .

وقال عبدالله قوله « من رآني في المنام ، أي رآني على نعتي الذي أنا عليه فلو رآه على غير نعته لم يكن رآه ، لانه قال رآني وهو انما يقع على نعته .

وفي مفتاح الفتوح وسراج المصابيح أيضاً قيل والله أعلم انه اذا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصورة التي كان عليها فقد رأى الحق ، أي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقيقةً ، وليس المقصود انه اذا رأى شخصاً يوهم انه رسول الله ﷺ فان الشيطان لا يتمثل بي ، أي في صورتي .

وقيل [يكون صحيحاً في كل صفة يراها] وذكر في المطالب : واختلف في رؤيته ﷺ في خلاف صورته ، قيل لا يكون رؤية له ، والصحيح انه حقيقة سواء رآه على صفته المعروفة أو لم يكن ، ورؤيته عليه السلام حال كون الرائي جنباً صحيحة .

اعلم ان رؤية الله تعالى في المنام أمر محقق ، تحقيقه انه تعالى مع كونه مقدساً منزهاً عن الشكل والصورة ينتهي تعريفاته الى البعد بواسطة مثال مخصوص من نور وغيره من الصور الجميلة يكون مثالاً للنور الحقيقي المكوّن لا صورة فيه ولا لون ، هكذا في العثور على دار السرور .

اعلم ان السالك قد يكون في عالم النفس والهوى فيرى في المنام أو الحال انه الرب ، فيكون الرؤيا صحيحاً محتاجاً الى التعبير ، وتعبيره ان ذلك الشخص بعد عبد نفسه ، يحبه ويعمل له ما يحب ، فيكون بعد ممن اتخذ آلهة فيرى الواقعة انه الرب المعبود له ، فيجب أن يجتنب من طاعة النفس والهوى والقيام بما يشتهي ويهوى ، ويكسرها بالمجاهدة والرياضة ، ولا يظن ان ما رآه هو عينه تعالى إذ ليس له تعالى حلول ، فهذه الرؤية مثل ما يرى سائر العوام في منامهم حيث يرى انه آدم أو هو نوح أو موسى أو عيسى أو جبرائيل أو ميكائيل من ملائكة الله تعالى ، وانه طير أو سبع أو ما أشبه ذلك ، ويكون لتلك الرؤيا تعبير صحيح وان لم يكن كما رأى يعني [انه لو رأى العوام الرسول ﷺ أو ملكاً من الملائكة أو طائراً أو سبعاً لما كان هؤلاء على حقيقتهم ومع ذلك فللرؤيا تعبير صحيح ، ومثل ذلك يقال في حال السالك الذي يرى الله في منامه] .

اعلم انه قال في شرح المواقف في المقصد العاشر من مرصد القدرة : واما الرؤيا فخيال باطل عند جمهور المتكلمين ، قيل هذا بناء على الاغلب والاكثر ، اذ الغالب منه أضغاث الاحلام ، أو المقصود انه رؤيا من لا يعتاد الصدق في الحديث « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً » أو لمن كثرت معاصيه لان من كان كذلك أظلم قلبه . أما عند المعتزلة فلفقد شرائط الادراك حال النوم من المقابلة وغيرها واما عند الاصحاب فلان النوم ضد الادراك فلا يجامعه ، فلا يكون الرؤيا ادراكاً حقيقة بل من قبيل الخيال الباطل .

وقال الاستاذ ابو اسحق انه أي المنام ادراك حق بلا شبهة ، انتهى . وهذا هو المذهب المشهور الموافق للقرآن والحديث ، ويؤيده ما وقع في العيني شرح صحيح البخاري في شرح قوله « أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة » الحديث .

ان قيل ما حقيقة الرؤيا الصالحة اجيب بأن الله تعالى يخلق في قلب النائم أو في حواسه الاشياء كما يخلقها في اليقظان ، وهو سبحانه يفعل ما يشاء ولا يمنعه نوم ولا غيره عنه ، فربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه في المنام ، وربما جعل ما رآه علماً على امور اخر

يخلقها في ثاني الحال ، أو كان قد خلقها فتقع تلك كما جعل الله تعالى .

ثم قال في شرح المواقف : وقال الحكماء المدرك في النوم يوجد ويرتسم في الحس المشترك وذلك الارتسام على وجهين :

الاول أن يرد ذلك المدرك على الحس المشترك من النفس الناطقة التي تأخذه من العقل الفعال فان جميع صور الكائنات مرتسم فيه ، ثم ان ذلك الامر الكلي المنتقش في النفس يلبسه ويكسوه الخيال صوراً جزئية اما قريبة من ذلك الامر الكلي أو بعيدة عنه ، فيحتاج الى التعبير ، وهو أن يرجع المعبر رجوعاً قهقرياً مجرداً له ، أي للمدرك في النوم عن تلك الصور التي صوّرها الخيال حتى يحصل المعبّر بهذا التجريد ، أما بمرتبة أو بمراتب على حسب تصرف المتخيلة في التصوير والكسوة ، وما أخذته النفس من العقل الفعّال فيكون هو الواقع ، وقد لا يتصرف فيه الخيال فيؤديه كما هو بعينه ، أي لا يكون هناك تفاوت إلا بالكلية والجزئية فيقع من غير حاجة الى التعبير .

والثاني أن يرد على الحس المشترك لا من النفس بل إما من الخيال مما ارتسم فيه في اليقظة ، ولذلك من دام فكره في شيء يراه في منامه .

وقد تركب المتخيلة صورة واحدة من الصور الخيالية المتعددة وتنقشها في الحس المشترك فتصير مشاهدة مع ان تلك الصورة لم تكن مرتسمة في الخيال من الامور الخارجة . وقد تفصل أيضاً بعض الصور المتأدية اليه من الخارج وترسمها هناك ولذلك قلما يخلو النوم عن المنام من هذا القبيل .

واما مما يوجبه مرض كثوران خلط أو بخار ، فان الدموي يرى في المنام الحمر ، والصفراوي النيران والاشعة ، والسوداوي يرى الجبال والادخنة ، والبلغمي المياه والألوان البيضاء ، وبالجملة فالمتخيلة تحاكي كل خلط أو بخار بما يناسبه .

وهذا المدرك بقسميه من قبيل اضغاث الاحلام لا يقع هو ولا تعبيره ، بل لا تعبير له ، انتهى .

وقال الشيخ عبدالحق الدهلوي في شرح المشكاة اعلم ان في تحقيق الرؤيا خلافاً بين العقلاء بسبب الإشكال الذي يرد هنا ، وهو ان النوم ضد الادراك ، اذن فما هو الشيء الذي يرى ؟

يقول اكثر المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة ان هذا خيال باطل وليس حقيقة الإدراك ، أما عند المعتزلة فنظراً لان للرؤية شروطاً مثل المقابلة وخروج الشعاع من الباصرة وتوسط الهواء الشفاف وأمثال ذلك ، وهذا كله مفقود في المنام فإذن لن تكون الرؤية إلا الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة .

وأما عند الاشاعرة فنظراً لان النوم ضد الادراك ، ولم تجر العادة وسنة الله تعالى في الخلق بأن يوهب الإدراك للنائم ، فان ما يرى لا يكون إدراكاً في الحقيقة بل يكون خيالاً ، وأما هدفهم من بطلانه فهو انه ليس في الحقيقة إدراكاً وليس عدم صحة اعتباره راجعاً الى تأويله أو عدم تأويله ، لان هناك اجماعاً بين أهل الحق على صحة الرؤيا حقيقة الادراك ولكن هناك ثبوت على وجودها وعلى أن لها تعبيراً .

وقد قال الطيبي ان حقيقة الرؤيا تبين الحق تعالى لان في قلب النائم علوماً وادراكاً كما في قلب اليقظان ، وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك فلا اليقظة موجبة لوجوده ولا النوم مانع من ذلك كما هو مذهب أهل السنة والجماعة في باب الحواس الخمسة الظاهرية لان سنته تعالى جرت على ان الحواس شرط في الادراك ، فالانسان يدرك بمحض خلقه تعالى لها ، وليس بتأثيرها ، وخلق هذه الادراكات في النائم دليل على الامور الاخرى التي تعرض بعد ذلك ، كما ان السحاب دليل على وجود المطر ، وعلى هذا القول تكون الرؤيا حقيقة الادراك ، وليس هناك فرق بين النوم واليقظة في باب تحقيق الادراك الباطني ، حقيقة ان هناك فرقاً في باب الادراك الظاهري للحواس ، لانه في حالة النوم تكون الحواس الظاهرية باطلة ومعطلة ، ولكن ليس للحواس الظاهرية دخل أصلاً في الادراكات التي تحصل في حالة النوم ، كما انه ليس لها دخل أصلاً في حالة اليقظة في الادراكات التي تحصل عن كيفيات باطنية مثل ادراك الجوع والعطش والحرارة الباطنية ، والبرودة الباطنية والحاجة الى البول والبراز وأمثالها . وتحقيق الحكماء في باب الرؤيا انها موقوفة على تحقيق الحواس الباطنة وثبوتها اعتماداً على قواعدهم وحسب الاصول الاسلامية غير كامل وقد جاء تفصيل هذا في كتب الكلام ، ونحن نذكر هنا في ايجاز ان في الآدمي قوة يسمونها القوة المتصرفة ، من اختصاصها تركيب الصور والمعاني ، فاذا انصرفت في الصور وركبتها ، كأن تضم بعضها الى بعض ، كأن توجد انساناً ذا رأسين أو أربع أيد وأمثال ذلك أو أن تفصل بعضها عن بعض كأن توجد انساناً بلا رأس أو يد وأمثال ذلك ويسمونها القوة المتخيلة .

واذا تصرفت في المعاني وركبتها كما تتصرف في الصور سموها المتفكرة وهذه القوة تواصل عملها دائماً في حالة اليقظة والنوم ،

وتعمل في حالة النوم أكثر .

وللنفس الناطقة الانسانية اتصال معنوي روحاني بعالم الملكوت وصور جميع الكائنات من الأزل الى الأبد مرتسمة وثابتة في جواهر ذلك العالم المجردة وحيث ان النفس تكون في حالة النوم فارغة عن تدبير البدن والاشتغال بالعالم الجسماني ، والاشتغال بادراك المحسوسات ، فانه نظراً لما لها من اتصال بتلك الجواهر المجردة العالية فان بعض الصور المرتسمة فيها تنطبع في النفس الناطقة أيضاً ، كما تنعكس في المرآة الصورة المقابلة لها ، وتنطبع من النفس الناطقة في الحس المشترك ، وتأخذها القوة المتصرفة من الحس المشترك فتفصلها وتركبها ، فاحياناً تكسو هذه الصور لباساً وحلة اخرى ، وتنقلها بعلاقة التماثل والتشابه من نظير الى نظير آخر ، كان تعطي صورة اللؤلؤ مثلاً لباس حبات الرمان ، وأحياناً ترجعها بعلاقة التضاد والمباينة من ضد الى ضد آخر كان تخلع على الابتسامة حلة البكاء أو العكس وهذا النوع يحتاج الى تعبير .

وأحياناً تظهره بجنسه دون تعبير وتلبيس ، وهذا النوع لا يكون محتاجاً الى تعبير فيحدث ما رأيته بعينه .

وأحياناً تأخذ القوة المتخيلة هذه الصور جميعها من الصور المخزونة في الخيال التي حفظت فيه في حالة اليقظة ، ولهذا يرى الانسان في النوم في أكثر الاحوال ما يكون أكثره في فكره وخياله في اليقظة ، وأحياناً تشاهد بسبب الامراض الصور المناسبة لها كما يرى دموي المزاج الالوان الحمراء ، ويرى الصفراوي الحرائق وشعلات النيران ، وفي حالة غلبة الرياح يرى نفسه يطير ، ويرى سوداوي المزاج الجبال والادخنة ، ويرى البلغمي المياه والأمطار والالوان البيضاء ، ورؤية هذين النوعين في المنام لا اعتبار لهما ولا تستحق التعبير ، ويسمونها أضغاث أحلام .

وطائفة الصوفية القائلون بعالم المثال لهم تحقيق آخر في هذا المقام ، وهو مذكور في كتبهم ، ويغلب اطلاق كلمة الرؤيا على الاحلام الجميلة ، أما الاحلام السيئة فيسمونها حُلماً بضم الحاء ، وهذا التخصيص شرعي أما في اللغة فهي بمعنى الحلم مطلقاً .

قال رسول الله ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » ومن المتفق عليه في هذا الحديث انه ورد فيه إشكال في بضع صور ، إحداها ان جزء النبوة يكون مع النبوة ، وعلى هذا يجب ألا تكون الرؤيا لغير نبي مع ان الرؤيا الصالحة تكون لغير النبي أيضاً .

والثانية ان النبوة نسبة وصفة ، فما معنى كون الرؤيا الصالحة جزءاً منها ؟

والثالثة ان الرؤيا الصالحة مثل المعجزات والكشف والصفات والحالات الاخرى التي تكون للانبياء ، وهي من نتائج النبوة وآثارها لا من أجزائها فما وجه تجزئتها عن النبوة ؟

والرابعة ان عصر النبوة مضى أما زمن الرؤيا الصالحة فباق فكيف يستقيم كونها جزءاً من النبوة ، لأن وجود الجزء بدون الكل محال كوجود الكل بدون الجزء .

والخامسة ما وجه تجزئة النبوة الى ستة واربعين جزءاً واعتبار الرؤيا جزءاً منها ؟

والجواب عن الإشكال الأول هو ان المقصود من انها جزء من النبوة هو انها من حق الانبياء وهي الوحي لهم في المنام وهذا الجواب ينقصه انه قد جاء في حديث آخر ان « رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءاً » الحديث .

والجواب عن الإشكال الثاني والثالث والرابع ان الرؤيا جزء من اجزاء علوم النبوة ، بل من اجزاء طرق علوم النبوة باقية ، كما ورد في الحديث : « ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وهي الرؤيا الصالحة » . وقد قال البعض : الرؤيا الصالحة أثر من آثار النبوة ، وهي فيض إلهي وإلهام رباني ، وهذا الاثر باق من آثار النبوة وجزء بلا كل ، غير انه في هذه الحالة لا يتأتى الوصف بالجزئية إلا باعتبار ما كان .

وقد قال البعض : النبوة هنا بمعنى الإنباء يعني الرؤيا الصالحة هي الأخبار الصادقة التي لا كذب فيها وقد جاء التصريح بهذا المعنى في بعض الأحاديث .

وقال البعض ان المقصود بالجزئية ليس ما هو متعارف عند أهل المعقول بل المقصود هو ان الرؤيا الصالحة صفة من صفات النبوة وفضيلة من فضائل النبوة ، وتوجد بعض صفات الانبياء في غير الانبياء أيضاً ، كما جاء في حديث آخر ما معناه ان الطريق الواضح الحسن والحلم والتوسط من النبوة .

والحاصل ان أصل جميع الصفات كمال النبوة ، لأنها مأخوذة منها وتخصيص الرؤيا بسبب مزيد الاختصاص في باب كشف

القلب وصفاته ، وليس هناك شك في كون النبي داعياً ومبلغاً ، ولكن اذا أوحى اليه خاصة ، فان هذا كاف لتهذيب نفسه ، في باب تحقيق درجة النبوة ، واذا ثبت ان الوحي كان في هذه المدة في المنام فان مقصود القائل يثبت ، ولكن الكلام في هذا المجال على حسب مذهبهم فالاحتياط في باب تخصيص العدد المذكور تفويض بعلم النبوة ، لان أمثال هذه العلوم من خواص الانبياء ولا يمكن الوصول الى كنهها بقياس العقل .

ومثل هذا يكون بالنسبة لحكم الاعداد في جميع المواضع مثل : أعداد الركعات والتسبيحات ، وأعداد نصاب الزكاة ومقادير الزكاة ، واعداد أفعال الحج مثل : أعداد الطواف ، ورمي الجمار ، والسعي وأمثالها .

وقد جاء في المواهب اللدنية ان بعض العلماء ذكروا ان مراتب الوحي وطرقه ستة واربعين نوعاً ، وان الرؤيا الصادقة واحدة منها قال النبي ﷺ : « من رآني في المنام فقد رآني ، فان الشيطان لا يتمثل في صورتي » وهو حديث متفق عليه .

وقد قال بعض ارباب التحقيق ان الشيطان يستطيع أن يتشكل في صورة الحق تعالى ، ويستطيع أن يقول أشياء كذباً وافتراء ، ويوقع الناظر له في الشك بأن هذه الصورة صورة الحق تعالى ، ولكنه لا يستطيع أن يتمثل في صورة حضرة النبي ﷺ مطلقاً ، ولا يستطيع أن يفترى عليه كذباً ، لان حضرة النبي مظهر الهداية ، وهو مظهر الضلالة ، وهناك تضاد بين الهداية والضلالة أما حضرة الحق فمطلقة ، لانه جامع لصفة الإضلال والهداية ، وجميع الصفات المتضادة ، ولأن دعوى الالوهية من جانب المخلوقات صريحة البطلان وليست محلاً للشك بخلاف دعوى النبوة ، ولذلك فانه اذا ادعى أحد الالوهية ، فانه يتصور أن تصدر منه خوارق العادات ، كما حدث من فرعون وأمثاله ، ولكن اذا ادعى النبوة كذباً ، فان المعجزة لا تظهر ، ولو ظهر أحياناً خرق للعادة فانه سيحدث على عكس دعواه وخلافاً لطلب المعتقدين فيه ، ولذلك فان كل أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب يدعي النبوة يعدونه إهانة ، كما ظهر من مسيلمة الكذاب فحينما قال له المعتقدون فيه : ان محمداً قد تفل على عين مصابة بالرمد فشفيت هذه العين ، فافعل أنت نفس الشيء ، ففعل هو نفس الشيء ولكن عين الشخص المصاب أصيبت بالعمى .

وفي مرة اخرى قال له اتباعه ان محمداً قد تفل في بئر ماؤها غائر ، ففار الماء حتى وصل الى فوهة البئر ، فافعل أنت نفس الشيء ، ففعل هو نفس الشيء ففار ماء البئر حتى يبست .

واعلم ان هناك احاديث كثيرة تدل على ان كل من رأى حضرة الرسول في المنام قد رآه حقاً . وليس للكذب والبطلان طريق الى هذا . والشيطان الذي يتمثل ويتلبس في صور مختلفة سواء في النوم أو في اليقظة ـ لان هذا عمله ـ لا يستطيع أن يتمثل في صورة حضرة الرسول ، ويظهر نفسه في صورته ويفترى عليه كذباً ويدخله في خيال الناظر .

وقد عد جمهور العلماء هذا من خصائص حضرة النبي .

والآن ذهب جماعة الى ان مجمل هذه الأحاديث هو ان جميع الكرامات وسائر المكاشفات ظل النبوة وشعاع منها . أما وجه التخصيص بالعدد ستة واربعين فهو ان مدة النبوة ثلاث وعشرون سنة ، وان ابتداء الوحي كان بالرؤيا الصادقة ، وقد ظلت الرؤيا الصادقة ستة أشهر ونسبة ستة أشهر الى ثلاث وعشرين سنة هي جزء من ستة واربعين جزءاً . وقد قال التوربشي ان حصر مدة الوحي في ثلاث وعشرين سنة مسلم بها ، أما كون زمان الرؤيا في هذه المدة ستة أشهر فهو شيء حسبه قائله في نفسه دون مساعدة النص والرواية . انتهى .

والحاصل انه لا يوجد أصل لتعيين المدة المذكورة ، كما لا يوجد سند صحيح ، حقيقة ان مذهب أكثر المحدثين هو ان حضرة الرسول ﷺ قد اختص بمقام النبوة في خلال ستة أشهر ، وكان مكلفاً بتهذيب نفسه خاصة ، ثم أمر بعد ذلك بالدعوة والابلاغ ، وكانت الدعوة بالنسبة اليه رسالة كلف بابلاغها للناس . وليس لازماً في مذهبهم أن يرى الانسان حضرة الرسول ﷺ بالصورة والحلية المخصوصة التي لحضرته وكفى . وقد توسع البعض فقالوا : يراه بالشكل والصورة اللتين كان عليهما طوال مدة عمره الشريف سواء في وقت الشباب أو الكهولة أو الشيخوخة .

وضيق البعض فقالوا لا بد أن يراه في الصورة التي خرج بها من العالم في آخر حياته .

وقال جماعة ان رؤية تلك الحضرة بالحلية المخصوصة والصفات المعلومة رؤية لتلك الحضرة في الحقيقة وادراك لذاته الكريمة ، والرؤية على غير تلك الصفات ادراك للمثال ، وكلتا الرؤيتين حق وليست من اضغاث الأحلام ، وليس لتمثيل الشيطان فيها مجال . غير ان الاول حق وحقيقة والثاني حق وتمثيل ، والأول ليس محتاجاً الى تعبير بسبب عدم التلبيس ، والثاني محتاج الى التعبير فمعنى

الحديث المرقوم : ان كل صورة أرى فيها حقاً وليست باطلاً وليست من الشيطان . وقد قال الإمام محي السنة النووي ان هذا القول أيضاً ضعيف ، والصحيح ان كل من رأى تلك الحضرة رآه حقيقة سواء رآه على صفته المعروفة أو رآه على صفة اخرى ، لأن الاختلاف في الصفات لا يوجب الاختلاف في الذات ، فالمرئي في كل لباس وفي كل صفة هو ذاته .

وللإمام الغزالي في هذا المقام تحقيق آخر يقوم على ان حقيقة الانسان عبارة عن روح مجردة ، والبدن آلة توصل رؤيته الى ادراك تلك الحقيقة ، ومقصود حضرة الرسول من قوله من رآني ليس من رأى جسمي بل من رأى مثالي لان ذلك المثال آلة ، ويصل المعنى الذي في نفسي اليه بواسطة تلك الآلة ، وليس للبدن الجسماني نصيب كبير في حالة اليقظة أيضاً من آلة النفس ، وتكون الآلة احياناً حقيقة وأحياناً خيالية ، فكل من رآه من الشكل والصورة مثال لروحه المقدسة التي هي محل النبوة ، وليس جسمه وشخصه . ومثال هذا رؤية ذاته تعالى في المنام فهي منزهة عن الشكل والصورة ، ولكن التعريفات الإلهية ترد على عبيده بواسطة المثال المحسوس النوراني أو غير ذلك من الصور الجميلة . ويصير هذا المثال آلة لتعريف ـ مثل هذه الرؤية للرسول لأن ذاته الطاهرة روح مجردة عن الشكل والصورة واللون ولكن كما كان له في حالة حياته البدنية التي كانت روحه المقدسة متعلقة بها ، والتي كانت آلة ادراك الروح ورؤيتها ، فكذلك في حياة تلك الحضرة الظاهرية ، وبعد اخفاء بدنه في الروضة المقدسة تستطيع الابدان المختلفة على حسب الظرف الملائم ، ووفقاً لحالة الرائي المناسبة أن تكون آلات ووسائط لادراك روح تلك الحضرة ، إذن فليس المرئي روحه المجردة وليس الجسم والبدن الخاصين لأن حضور شخص متمكن في مكان مخصوص وفي زمان معين بصفات متغايرة وصور مختلفة وفي أمكنة متعددة أمر لا يتحقق إلا بطريق التمثيل ، كما تتمثل صورة شخص في مرايا متعددة ، فالمرئي في المنامات مثالات لروحه المقدسة ، وهي حق ، وليس للبطلان مدخل فيها .

واما اختلاف الامثلة باختلاف أحوال مرايا قلوب الرائين فهو ظهور اختلاف أحوال الصورة على حسب اختلاف حالات المرايا ، فكل من يراه في صورة حسنة فان ذلك يكون من حسن دينه ، وكل من يراه في صورة تخالف ذلك يكون دينه ناقصاً . فواحد يراه شيخاً والاخر يراه شاباً والثالث يراه طفلاً والرابع يراه راضياً والخامس يراه غاضباً والسادس يراه باكياً والسابع يراه ضاحكاً ، وهذا كله يرجع الى اختلاف أحوال الرائين ، اذن فرؤية تلك الحضرة معيار لمعرفة أحوال باطن الرائي .

وفي هذه الرؤية ضابطة مفيدة للسالكين يستطيعون أن يعرفوا بها أحوال باطنهم ، وأن يدركوا الى أين وصلوا ، وفي أي مقام هم . وعلى هذا الأساس يعالجون أمرهم ، وفي الحقيقة فان حضرة الرسول ﷺ مرآة صقيلة يستطيع الانسان أن يرى فيها جميع صور أحواله .

وعلى هذا القياس يقول بعض ارباب التحقيق : ان الكلام الذي يسمعونه في المنام من حضرة الرسول يجب أن يطبق على السنة ، أي على قول الرسول وفعله ، فاذا وافقها كان حقاً وان خالفها فانه يكون قد حدث خلل في السمع اثناء سماعه .

اما رؤية حضرة الرسول في اليقظة بعد رحيله من هذا العالم ، فان بعض المحدثين قالوا ان رواية هذا لم ترد عن أحد قط من الصحابة والتابعين ، ولكن بعض الصالحين قد روى حكايات في هذا الباب ، وان هذه الحكايات قد ثبتت صحتها ، وان الحكايات والروايات كثيرة عن المشايخ ، وتكاد تصل الى حد التواتر ولذلك فان انكارها ـ في الحقيقة ـ انكار لكرامات الأولياء .

وقد قال الإمام الغزالي في (كتاب المنقذ من الضلال) ان أرباب القلوب يشاهدون في اليقظة الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون كلمات عنهم ويقتبسون منها الفوائد . وقالوا ان هذا في الحقيقة تمثال ولو انه في اليقظة .

انتهى من ترجمة المشكاة المسمى باشعة اللمعات .

* * *